المنفيّون
إلى جوار السحاب

" قـصــص "

مجموعة من المبدعين

obeikandl.com

المنفيّون

إلى جوار السحاب

" قصـص "

اسم الكاتب: مجموعة من الكتّاب والمبدعين
تدقيق لغوي: محمد ربيع
تصميم الغلاف: دعاء السيد
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
رقم الإيداع: ٢٥١٩١ / ٢٠١٧

جميع الحقوق محفوظة
وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية، أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

obeikandl.com

شَهِيدٌ

حُسَيْن يوسِف العصفوري - مصر

.... زغاريد الفَرَحِ تَمْلَأُ الفَضَاءَ المُحِيطَ.. تَنْطَلِقُ مِنْ كُلِّ بَيْتٍ يَتَخَلَّلُهَا بَعْضُ الصُّرَاخُ، وَالعَوِيلُ.. سُرْعَانَ مَا يَتَحَوَّلُ إِلَى تَهْلِيلٍ وَتَكْبِيرٌ.. وَأَنْوَرُ يَتَحَرَّكُ بَيْنَ جُمُوعِ النَّاسِ مِنْ حَارَتِهِ الصَّغِيرَةِ بَيْنَ إِخْوَتُه وَجِيرَانِهِ وَاسْمُ أَبيه يَتَرَدَّدُ فَوْقَ الأَلْسِنَةِ.. وَعَيْنَاهُ تَبْحَثَانِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.. وَنَظْرَاتُ التَّرَقُّبِ لِلبَدَلَاتِ العَسْكَرِيَّةِ وَطَائِرَات تَخْتَرِقُ الأَجْوَاءُ بِأَصْوَاتٍ قَوِيَّةٍ ذَهَابًا بِلَا عَوْدَةٍ.. وَأَيَادٍ مَرْفُوعَةٌ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ.. وَالدُّعَاءُ وَأخرى بِالتَّحِيَّةِ..

وَجَدَ نَفْسَهُ بِالمَقَابِرِ وَالجَمِيعُ حَوْلَهِ وَأخوهُ يَلُفُّ رَقَبتَهُ بِاحْتِوَاءٍ.. وَيَبْكِي قَلِيلًا وَيَبْتَسِمُ.. سَأَلَهُ: "مَنْ مَات؟".. تَرَكَهُ وَانْشَغَلَ عَنْه وَعَيْنَاهُ شَارِدَتَانِ مَعَ الجَسَدِ يَتَسَلَّلُ إِلَى القَبْرِ فِي دُعَاء وَأَيَادٍ تَتَلَقَّفُهُ وَتَتَمَسَّحُ بِردَاءٍ أَبْيَض وَعَلَم الشَّهَادَة يحتويه وَأَجْمَلُ مَا رَأَتْ مُقْلَتَاهُ.. وَاسْمُ أَبِيهِ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ الدُّعَاءِ وَأخوهُ يُسَلِّمُ بِابْتِهَاجٍ.. هُو لَا يُصَدِّقُ مَا تَرَدَّدَ فِي عَقْلِهِ وَبِين الشِّفَاهُ سَأَلَ جَارَهُ.. أَخْبَرَهُ بِعُنْفُوَانٍ: "إنَّ أَبَاكَ قَدْ الْتَحقَ بِالفَخْرِ وَهُو يُقَاتِلُ الأَعْدَاءَ.. وَأَصْوَاتُ الجَمِيعِ تعلو (اللّهَ أَكْبَر)". وَالشَّيْخُ يَخْطُبُ فِي آبَاءٍ.. خَيْر أَجْنَاد الأَرْضِ.. فِي رِبَاطٍ.. تَسَلَّلَ "أَنْوَر" بِين الكِبَارُ وَلَكِنَّ أَيَادِي أُمّه تَلَقَّفَتْهُ قَبْلَ إِقْلَاعِ القَارِبِ إِلَى سَيْنَاءَ.. وَهِيَ تُرَدِّدُ حَقّنا لَنْ يُضَيَّعَ يَا وَلَدِي.. لَمْ تَنْتَهِ!!

السلامُ المُرّ

هشام عيد - مصر

مضطربٌ منذ أتى، تلاحقه ذكرياتٌ قاسيةٌ ووجوهٌ داميةٌ، تحيطه أرواحٌ هائمة، صورٌ غير مكتملة لأشلاء ودماء، جريٌ وصُراخ، يلتفت يمينًا ويسارًا فلا يجد سوى الفراغ، يشعره الزحام بالوحدة أكثر، يتلاحم مع هذه الأرواح الغامضة، يحدّثها.. تحدّثه، يبادلها السباب والعِشق، يبدو في عيون الناس مجنونًا، شعرُه الأصفر وعيونُه الزُّرْق، بياض بشرتِه الشديد، غريب بين هؤلاء الناس!

جاء بينهم منذ خمسِ سنوات، انتقل من ضجيج الدمِ والمدافع إلى زحامهم ونظراتهم وسخرياتِهم التي لا تقلُّ قسوة عن عذاب انتظار الموت، منذ جاء وهو يشعرُ أنهم مزدحمون، مُحَمْلقون دائمًا، الأطفال يسخرون منه، من لونه الغريب ولَكْنَتِه الغريبة، وتأتأةِ لسانه التي خلَّفها الخوفُ ودويُّ المدافع، في عيونهم يبحث عن عينٍ مشفقةٍ تحتضنه، لكنها كلها ساخرة، غريبة، فليحْتَمِ بالجنون علَّه ينجو من بطشهم؛ فليحْتَمِ بالبعد أكثر.

اسمه "ماجد"، أبوه يعمل بالسياحة، في إحدى سفاراته إلى البوسنة التقى أمَّه، وحين قامت الحرب المرعبة التي شَنَّها الصرب على شعب البوسنة المسلم في حملة تطهير عرقيٍّ؛ نجا بزوجته وابنه وابنته الصغيرة، عائدًا إلى وطنه، كان الطفل في الثامنة؛ سنوات التَّشَكُّل، التشكل المضطرب من

الحرب إلى الزحام.. العيون.. الوحدة.. الغربة.. بأي لغة يتحدث الصغير؟ أمُّه تتحدث اليوغوسلافية وبها يتحدّث أبوه في المنزل، لكنهم في الشارع يتحدثون بلغة مهَمةٍ وأصواتٍ متداخلةٍ وعيونٍ جاحظةٍ في سخريةٍ تبعثر النفس، وتفقده التوازن.

ترسَّبُ الخوف بداخله من دوي الحرب والقتلى، الأذرع المتقطعة والرقاب المتناثرة -كان منذ قليل يحدّثه ثم هو أشلاءٌ ملقاةٌ على الطريق- ليس للخوف صورةٌ مصغرةٌ عنده كبقية الأطفال.. الخوف هنا من نوع جديد.. ربما أبسط لكنه يترك بداخلِه نفس الإحساس الكبير بالرعب.. لم يَعُدْ للرعب حدود بداخله.. أبسط المخاوف تثيرُ أبشع الأحاسيس!

حَدَّثَهُ الأب عن الأرض الطيّبةِ والناس البسطاء والهواء الذي يحمل المحبة.. عن الشمس حدَّثَهُ، عن جمال الروح حين تبدو في العيون، عن طيبةِ اللقاء والاحتواء بلا مقابل.. كل الأيادي تحتضن.. كل العيون ترحّب.. عن طينةٍ تُقبل في حنان أي زرع.. عن نيلٍ يكفي أن تشرب منه شَرْبَةً فتصير منهم.. حدَّثَهُ أبوه، لكن لم يمنحه الوقت الكافي.. ربَّما كان يجب أن يكون معه لفترة.. ربما كان يجب أن يكون هو أكبرَ قليلًا.. ربَّما كان هناك ما يجب أن يتجاوزه ليتحقَّقَ التمازج.

تركه الأب يتحرّكُ في الشارع كما يشاء.. يريد أن يكسبه خبرة الالتحام، لكنه لم يؤهّله بما يكفي.. لم يبق معه.. لا يكفي أن يكونوا أبناءَ وطنِك ليكونوا أروع من في الأرض.. لَعَلَّ الأشياء تغيرت منذ بعدك الأخير.. ولعل الطفلَ كان يجب أن يتعاملَ مع من هو أكبر.. من يستطيع تجاوز ثأثأتِه وبلاهةِ نظرته المغتربة.

حام حوله الصغار.. تربصوا به.. لم تكن في عينِ معظمِهم الرغبةُ في الصداقة بقدر ما كان فيها التساؤل.. بعضهم أراد أن يختبر قوته -على قدر القدرة على البطشِ سوف تكون المهابة-.. سرعان ما اكتشفوا أنه جبان.. مُرْتَعِب.. جسمه الكبير منحهم الرغبة أكثر.. بعد وقت قليلٍ كان لكل صبيٍّ قصة في ضربه.. كانت نبرةُ الفخر تملأ أصغرَهم حين يقصُّ طريقة طرحه أرضا!

كلما كبر كان الخوف يكبر بداخله والرغبة في الاختفاء تزيد.. ليته يمضي فلا يراه أحد.. ليته يصادق أحدًا فيحتمي به.. ليت أباه الذي يظنّه شهمًا يعرف أنه أضحوكة.

حاول الأب الذي اطمأن لعشيرته أن يساندَه على البعد.. ألحقه وأخته بالمدرسة حين وصلا.. نجحت تجربة أخته لأن مجالَها الضيق من البيت للمدرسة، سمح لها أن تتكوّن.. أن تنسى.. أما هو فلا.

انزوت الأمّ في بيتها.. تَشَتَّتَ القلبُ بين هنا وهناك، انتهت الحرب هناك باتفاقية "دايتون"الأشبه بالسلام المُرّ الذي يمنحُ المغتصبَ ما لا يستحق ويسلب الضحيةَ حقَّ الدفاع وساوى بينهما على طاولة التفاوض وعلى الأرض أيضًا.

بكت الأم يومها كما أمٍّ تبكي أبدًا.. لم تبك كذلك أثناء الإبادة.. كانت وأبوه مشغولَيْنِ بالهرب والرحيل وجمع الحطام.. قالت: "مُجَرّد أن يجلس "فلوبودان ميلوسوفيتش" مع العظيم "علي عزت بيجوفيتش"- عارٌ.. كيف فرضوا أن يجلس الإنسان مع الشيطان ليتفاوض!؟"

استعان بجهاز صغيرٍ يُخفيه داخل ذاته "ووكمان"يصرخ داخل أذنه باستمرار.. لا يستمع للأغاني لكنه يهرب فيه فيظن أن الناس منصرفةٌ عنه.. يتلاشى عيونَهم وصبيانَهم.. فضَّل المشي في الأماكن البعيدة؛ لأنهم يحسنون لمن يظنونه أجنبيًا.. استمع إلى كلماتٍ لطيفةٍ حبَّبَتْهُ .Welcome . Hi . Hello في البعد إلى أقصى مدى والجهاز في أذنه.. وشعره أصفر.. ليبتعد أكثر.. وحين يشعر بقُرْبِ اكتشافِ جبنِه.. وحين تصرخ داخله الرهبةُ وتضيق عليه نفسُه؛ كان يطيع رغبةً عارمةً في السباب والقذف وضرب الحجارة بقدمه.. يَسُبُّ الفراغ.. يشتم بأعلى صوته.. يضرب بكل قوة.. لعل أحدهم هناك يتربص به فيخاف بطشه!

أَخَذْتُه ذات مرةٍ من يديه إلى "شِلَّة"وطلبت منهم أن يصاحبوه.. إنه ابن الحتة.. فوجئت أن أحدهم حاول لكنه هو رَفَضَ.. وبدت على "ماجد" نظرة مستهترة وتركني ومضى.. شعرت من كلام الفتى بالصدق.. حكى لي أنه يمضي في الشوارعِ يَسُبُّ الهواء ويضرب الفراغ بقوة.. شعرت أن وضعه كأبله قد تأصَّلَ.. مضيت صامتًا.. شعرت أنه يَسْتَمْرِئُ الجنون.

لا تكفي الإشارة للقبيح بقبحه حتى يتغير!

ذات ليلةٍ في تجواله بغير هدى أخذته قدماه بعيدا.. هائمُ الروحِ والجهة.. يستمع بأقصى طاقته مختفيا داخل جهازه.. لم يوجه عينيه لأي عين.. ولكنه كان يَتَلَصَّصُ أثناء سيره النظرَ إلى أولئك الذين يتحدثون في بساطة وتكافؤ.. أحاديث عادية.. ليست عن أشياء عميقة ولا غامضة.. أشياء بسيطة.. حياة عادية.. مُتكافئة.. بلا سخرية.. يفهم الآن الكثيرَ من هذه اللغة.. ربما أكثر من لغتِه الأصلية.. فوجئ بنفسه يقترب من ثلاثةٍ في مثل سنِّه.. هل يبدأ سَبَّ

الهواء الآن.. أيحتمي بالجنون أم بكونه أجنبيا.. تَذَكَّرَ في هذه اللحظة جنديًّا صربيًّا يفتك بلا رحمة بوالدِ صديقٍ له.. أطلق النار بقسوة.. اخترقت الرصاصةُ رأسَه الأصلع.. فتفجرت الدماء وتاهت ملامحُ الوجه الذي ثبتتْ عليه نظرة استعطاف: "ارحمني أمام صغيري"!

لم يعد يمكن تحاشيهم.. اقتربوا منه.. أحاطوه بإحكام.. عيونُهم ثاقبة.. ابتسم ببلاهة.. ضحكوا وتبادلوا النظر..

دخلَ قائدُ الجيش الصّربيّ "سربيرينتسا"ضاحكًا وهو يؤَمِّنَ النساء والأطفال في خروجهم ثم أمَرَ جنوده بقتل ثمانية آلاف رجل ودفنهم في الوحل والحفر..

قال أحدُهم شيئًا فَهِمَ منه أنهم يريدون "الووكمان"وأشار الآخر بشفرةٍ في يده.. ودفعه الثالث بشراسة.. كانوا في منتهى التحفز.. قال: "ت ت ت تيجوا نسمع أ أ أغاني ك كلنا مع بعض".

ضربه أحدهم على وجهه فصمت دون مقاومة.. خلعه من أذنيه ومن حول حزامه بهلعٍ.. حَيَّرَتْهُ عيناه.. أين يستطيع أن يوجّهها.. شعر أن الشفرةَ طلقةُ جندي صربي.. انشغلوا عنه بفحص الجهاز.. عادت الأصوات المزدحمة.. جري.. بأقصى سرعته.. انطلق كالسهم.. بل كالخروف الذي يطاردُه السهم.. كأنما هو المذنب.. يجري بلا هوادة.. تحولت كلُّ الأرواح الهائمة إلى سهامٍ تطارده.. لعلهم ما يزالون يتبعونَه.. سيلحقون به لو توقّف لحظة.. سيضع

openkanal.com

أحدهم الشفرةَ في عينيه.. جري.. جري.. بأقصى ما تستطيع الروح والقدمين..

عندما عرف أبوه احتضنَه بحنان.. في حضن أبيه.. فقط.. بكى بقوة..

في اليوم التالي.. استطاعَ أبوه أن يستردَّ "الووكمان".. عرضَ الضابطُ تأديبَهم، لكنَّه آثر السلام خشية أن يبطشوا بابنه فيما بعد!

أصبح الآن في السادسة عشرة.. تأصَّلت بلاهتُه لكنه اكتسب خبرةً قليلةً أتاحتْ له الحدَّ الأدنى من التعامل وانطفأ بريقُه لدى الأطفال.. ما يزال بغير صديق.. ولم تحدِّثه للآن فتاةٌ غيرُ أخته..

الخُطَى أصبحت مُبَطَّئَةً والأذرع متهدّلةً.. صار مُهَلْهَلَ الملابس.. أصبح صامتًا إلى أقصى درجة كأنّما أصيب بالخَرَس.. صمتًا إراديًّا أبلهَ لا يخترقه أبدا.. وصار قَذِرًا إلى حد ما.. بلا أدنى رغبة في المقاومة..

في "ميدان الحلميّة" الشهير.. يتجمع شباب كُثُر.. الإضاءة الكثيفة تمنحُهم مظهرًا مبهجًا ومتألقًا.. أصواتُهم صاخبةٌ وضحكاتُهم تبعث فى النفس الصبا.. بلا أي هموم..

غير بعيد.. في إحدى الزوايا الخافتة رأيتُه يقف وحده.. في أذنيه "الووكمان"يرقص.. يتمايل طربًا مبالغًا فيه.. كنت على الصف الآخر.. حييتُه من بعيد.. حياني دون أن يتوقّف عن الرقص.. مضيت قليلًا.. داهمتني رغبة في العودة والذهاب إليه..

اقتربت.. كان يرقص.. في عينيه بريق.. اقتربتُ أكثر.. كانت الدموع تملأ وجهَه.. وأنفه تسيل.. كان هذه المرة يختبئ في الرقص.. حتى لا يرى دموعَهُ أحد..

اغتيالُ ابتسامة

مصطفى عواض - مصر

الأب:

أيامٌ مضت.. بل أسابيع.. بل شهور، لا أدري ربما أكثر وربما أقل، فقدتُ الإحساس بالوقت، وبنفسي التي تَضَعْضَعَتْ؛ لتقلُّبها بين منزلتَيْ البلاء والصبر، وبإدراكي الذي لم يَعُدْ يَعِي سوى بردٍ قارس، وليلٍ موحش، وظلمةِ بحرٍ مَدّ البصر، وهلاكٍ يحرسني وابني من مجهول المآل.

وأخيرًا بعد عناءٍ افترس أجسادنا، نادى المنادي: "إننا على بُعد ساعات من شاطئ قِبلتنا القادمة".

هلّل الناس وكبّروا، أما أنا فقد أخفيتُ وجهي بين كفّي، فَلَاحَ لي ما مررتُ به من معاناة كلمع البرق.. غريبة تلك العلاقة بين متناقض المشاعر، ما أتت إحداهما على أختها حتى أجهزت عليها، ومحت آثارها، ولم تُبْقِ منها سوى ما ناسب ميولها.

فإذا ابتُليتَ بعد نعمةٍ؛ نسيتَ ما كنت عليه من الفرحة إلا ما كان باعثًا للحسرة على فواتها، وإذا أُعطيتَ بعد منع؛ نسيت ما كنت عليه من الحزن إلا ما كان مدعاةً للتفاخر بالصبر أو الحمد، لكن في حالتي هذه كان الأمر مختلفًا.

لا أدري، كيف شرَدَتْ تلك الدمعة من عيني، فإذا بكفِّ صغيري تلامسها، وهو يقول: "لا تحزن يا أبت، إن الله معنا".

صحيح أن ابتسامتي لم تقدِرُ على اغتيال ذلك الحزن الكامن في ملامحي، والشقاء المتلفّع بجسدي، إلا أنها انعكست على وجه طفلي الصغير؛ فابتسم هو الآخر.. فقلت له: "أخيرًا يا صغيري، ستعود الفرحة لقلوبنا بعد أن جفَتْنا أمدًا طويلًا".

نظر صغيري إليّ مفكِّرًا، ثم لاح شبحُ حُزْنٍ على وجهه وهو يقول: "كنت آمل أن تكون أمي معنا". لم تُخلق بعد تلك الكلمات التي يمكن أن تخفف من شعور الفقد في قلب اليتيم، فلُذْت بالصمت!!

إنَّ وجهَ أي طفل حزين -مهما يكن منعّمًا- كافٍ بإشعال مشاعر من الإجلال في نفوس الناس، فما بالك بطفل تلوَّنَ وجهُه بألوان الشقاء.

آهٍ يا وَلَدِي، ويا ضعفي، إن ما مررتُ به من غُربة، وفقد للأحباب، وتشرد وضياع لا يضاهي عندي دمعة من عينيك تلك، وخيبةِ أمل أمَّلْتَه فيّ، وما باليد من حيلة؛ والخوف والموت رفيق خطواتنا.

احتضنتُه بقوةٍ لأخفِّفَ عنه، ودفنتُ أنفي في شعرِه، أبحث فيه عن بقايا رائحةِ زوجتي، التي لا أنفك أراها في خِلْقته وخَلْقه.

لا أريد أن أتذكّر الماضي الآن، ها قد حان الوقت لنبدأ حياةً جديدة، وبدأتُ أتصوَّر تفاصيل مستقبلنا بهذه المدينة، وأرسم فيها أحلامنا، وأشيد بها مآلنا، بالتأكيد ستستعيد يا صغيري فيها ضحكتك المفقودة!

******

الابن: كنتُ قديمًا أحبُّ رائحة البحر وأعشق قسماته، ولا غَرْوَ، فلا زلتُ أتذكر زيارتنا لشاطئ مدينتنا، كم كان يومًا لا يُنسى، كان أول يوم أرى أبي قد تخلَّى عن جِدِّيَّتِه، وتجاوز ذلك السور الأبويّ ليلعب معي وأمي على الشاطئ وقتَها.. عشقت البحر ورائحته، ولكني الآن أَمْقُتُهُ بشدة، قد علمت الآن أن ظاهرَ البحر مناقضٌ لباطنه، ها أنا في كَبِدِ البحر ولا أرى إلا ظلمتَه المُتّسِقَة مع ظلمة الليل، حتى انعكاس ضَوْء القمر على صفحته لم تشفع لهذه الظلمة، بل زاد من وحشته.

ما عدت أتذكر من أيامي الماضية إلا بعض المشاهد المتقطّعة: صوت أمي وهي تغنّي لي ألحانَ النوم وأنا متدثّرٌ بها، والأمان المنبعث من رائحة جسدها.. صوت أذان الفجر، دعاء أمي من فوق مُصَلَّاها.. وملامح أبي وهي ترقبنا في حُبٍّ، لم تعد تلك الملامح الآن كما كانت.

لا زلت أتذكَّر رائحة خبزِ أمي الساخن، أتذكر رائحة بيتِنا القديم، لم يَتَبَقَّ لي سوى رائحة الماضي، وفجأةً استحالتْ هذه الذكريات لصورٍ من دمار ودماء وصرخاتٍ وعويل، وجسد أمي المهترئ المُلْقَى خلف الأنقاض، وحُطام مأذنة

مسجدنا، وأوراق متفحّمة من إرث مدرستنا، خيالات لم تكن وليدة ما أنا عليه، بل هي الحقيقة الوحيدة الباقية معي أينما رحلت، تحوم حولي كذئب.

لا يزالُ ذلك الدوار برأسي يزداد مع ازدياد حركة المركبِ الذي تتلاعب به الأمواج..

بطني تُقَرْقِرُ من الجوع؛ فأنا لم أتذوق من الطعام إلا كِسْراتِ خبزٍ مُنحت لي.

يصيح المنادي: "إننا قد اقتربنا من مبتغانا".

لا أعلم شيئا عن هذه الغربة، ولكن الجميع هنا يصفُها بالجنة، لا أظنها تشبه جنّتي الماضية، وأي جنة تلك التي يتحدثون عنها دون أمِّي!!

ما هذا؟ لقد دمعتْ عينُ أبي، أعلم أن هذه الدمعة بسببي، فأنا هَمُّه.. هرولتُ إليه وأمسكت بدمعته، وقلت له ما كانت تقوله أمي لتخفف عني قبل رحيلها: "لا تحزن؛ إن الله معنا".

حاول لملمة همه وتعبه بهذه الابتسامة الهادئة، فابتسمت له، وأخذ يؤمّلني في مستقبلٍ مختلف.

- كنتُ أتمنَّى أن تكون أمي معنا.

لا أدري كيف فَضَحَ لساني ما يخفيه صدري، (سبحان الله)! قد قدرت على إخفاء جوعي ومرضي، محاولًا إثناء الهَمِّ عن أبي، إلا أن محاولاتي ذهبت

سُدًى، فها أنا ذا أُلْقِي إليه همًّا جديدًا، احتضنني أبي في قوةٍ ولم يعقِّبْ ولم أتكلم.

- ((المركب تغرق))

علا صوت المنادي بها، وجاورها صرخاتُ الناس، ومعهما اهتزت المركب؛ ففقدتُ وأبي توازننا، وغمرتنا المياه من كل جانب كتلك الأنقاض اللعينة، أمسك أبي ذراعي بقوة، وأخذ يصرخُ بتوجيهاته لي، إلا أن المركب مالت بنا بقوة، فانزلقت الأجساد إلى مؤخرة السفينة يسحق بعضها بعضًا، وما كان ينقذهم سوى كف من الأمواج تسحبُهم لها، فكانوا بين موتٍ وموت.. وقبل أن تنقلب المركب على وجهها، قفز الجميع إلى البحر..

لا أدري كيف أفلت أبي يدي، إنه يعلم جيدًا أني لمْ أتقن السباحة بعد.. وما أن ارتطم جسدي بالبحر، نظرت حولي فإذا بكل أحدٍ منشغل بحاله؛ فهذا يصرخ، وهذا ينادي على ولده، وهذا طفل مثلي ينادي على أمِّه، وقبل أن يستسلم جسدي لنداء البحر، أخذت أصرخ مناديًا اسم أبي، إلا أني لم أتلق الجواب، يا رب احفظ أبي من كل سوء.

صوت لحن أمي وغناؤها يعلو ويعلو، وأنفاسي تبطئ الخطوات، لا تكاد تلحق بروحي التي تنسلخ مني، ها هو الموت يَنْقَضُّ ليلتقط ما تبقى مني، صدِّقوني، لم أعد أخافه، بل وجدت بين أنيابه يكمن ماضٍ جميل، لا يزال صوت غناء أمي يعلو ويعلو، ثم.. أظلم كل شيء.

- **لمن تحمل مسئولية غرق ابنك؟**

لم أقدرْ على كتمِ دموعي بعد سماعي سؤال الإعلامي المشهور –الذي ترجمه لي أحد بني جلدتي- فرفعت عنها الستار، وقلت متماسكًا: "لا أُحَمِّلُها لعدوِّي بقدْر ما أحملها لنوّابهم؛ الذين مهّدوا لهم فعلهم، سواء عندي من شارك ومن صَمَتْ".

obeikandl.com

كثيرةٌ أنت على قلبٍ واحد

أسماء عقوني - الجزائر

إنَّنا بجب أن نظهرَ للعيان؛ لأن كلَّ ما بداخلنا يدفعنا للحيرة...

بِتواطُؤٍ مع الزمن لم أغادرْ الذكرى وبقيتُ هنا واقفًا على عتبة الانتظار وتزيد من وحشة المكان تجاعيد المساء...وتحت سطوةِ الماضي لا يبقى أمامي سوى الندم....آهٍ كمْ يقتلنا الندم بدم بارد!...قاربَ اليومُ على لَفْظِ أنفاسه الأخيرة وكان النهار مُهْتَرِئًا كأنه لَبِسَ من طرف كلِّ البشر ورمي مساءً في سلة الذكريات...وتنام كلُّ الأعين لكني لا أنام!

بداخلي ضفتان لا جسرَ يمتدُّ بينهما، وَحْدَهُ السؤال بطعم الوجع هو من يَعْبُرُ حافيًا يمشي على الجرح ببطئٍ...هو لا يجيد إلا فتحَ الماضي ليعيد كل ما كان...أسأل نفسي...هل كان التذكُّرُ صعبا...!؟ أم هو أَلَمُ العودة للوراء...يَعْبُرُنِي السؤال ولا يَكُفُّ عن دَقِّ بابٍ كنت قد أغلقتُه من سنين أو بالأصح اعتقدتُ أني أحكمتُ إغلاق إقفاله...أحاول أن لا أُنْصِتَ لهاته الأصوات لكنّها تغري كل ما فِيَّ من اشتياقٍ وحنين فتستدرجُني أفكاري إلى حافةِ الذكرى هنا ومن هذا العلوّ أشاهد ما لم أَرَهُ وأنا في عَبَثِي القديم؛ فأعتزل كلَّ ما هو طبيعيٌّ وأعبر ماضيًا من أيامٍ لعلِّي أجدني بين ثنايا العمر...

كانت آخر رسائلها اليائسة تترصّد الأمل في اللقاء...حينها لم أفهم أنه ألمُ الممكن المستحيل، وأني كنت بالنسبة لها أستحق المحاولة...فالحب هو من يصنع لها الأمكنة...فنحنُ نولد حقًّا عندما نُحبّ...متأخر كعادتي متشبث بكل ما هو أنا، لا أريد أن أحب إلا ذاتي هكذا لم أتغير...من شرفتي النرجسية أُطِلُّ بكبرياء أحمق، لم أُدْرِكْ أني أعني الحياة لشخص لم ينتظرْ حتى الرد على رسائله المستسلمة للنسيان...في تلاشي الرغبة كانت تكتب لها ولي لتحكي سطورُها البريئة قصةَ حُبٍّ يولد من رحم الشقاء...قالت: "لم يكن حبُّكَ مشروع حياة، لم يكن قرارًا، كان قدرًا، كان لأنه يجب أن يكون هكذا دون كثير من علامات الغباء التي تسأل عن النهايات؛ لذا لا تَدَعْ تفسير الأمور يفسدُ علينا هاته اللحظات؛ فما مَضَى لا يعود، ولا تتنفس العاطفة هواء تلوّثُه الحسابات...ففي حضرة الحب لا مكان لممارسات العقل، فلا داعي للتذاكي على ما بقي من رغبةٍ في كسر خرافة المفروض وما يجب أن نُمَثِّلَه من أدوارٍ مزيفة لنعيش أجسادًا باليةً، وقلوبًا معلَّقةً تحرّكُها رياحُ الحب الضائع...فقد تعبت الروح من عمرٍ هزيلٍ لم يعد يستطيع حمل أحلامه التي تسقط منه حلمًا بعد حلم...لذا قرّرتُ أن أركب صَهْوَةِ الحب...وأقفز فوق فُوّهة المعتاد والمألوف...أعلم أنها وثبةٌ نحو المجهول لكني سأحملُ كلماتي بما فيها من نبضٍ؛ فهي تمنحني القوة...

لا يُهمّني ماذا أو ما هو المعقول؟ من يجب أن يبادر بالبوح بهذا الخفقان المتسارع على نغمات الحب؟...لأني معك تجاوزتُ حدودَ الأنا معك أصبح؛ لي وجودٌ فيك وبك حيث تُزْهِرُ أبجديات الأمل...لأنَّ الروح من تُحِبُّ لا الجسد؛ ولذا فحبك سَرْمَدِيٌّ وُجِد ليبقى، حتى عندما نرحل سيبقى يستمتع بميلاده

في كل لحظة، هو بداخلي يراكَ بعيونٍ عاشقةٍ يختبئ من أحاديث غيرنا ومن نظراتهم له؛ لأنها تخلق أجوبةً أكبر منه تفقده الرغبة في البقاء دعني أحدق بك بين الكلمات وتعانق أنفاسك حروف الاشتياق، وحتى وإن لم نلتقِ؛ فسيبقى البحث عنك مغامرة تستحق العناء...يا بطلًا بعبق الحبر استعمرت بياض أوراقي واستسلم لك القلم...سأبحث عنك لأنني يجب أن أحلم بأن نكون معا، إنه قانون المحاولة داخل عالم من ورق، يبقى الحب مشروعا افتراضيًّا يوجد بك ومعك...لذا سأعيش بما يكفي لأكتب عنك"...

آآآه...كم كانت امرأة تتقن الكتابة على إيقاع الشوق، كنتُ بعد كل رسالة أصحو كالثَّمِل من ليلة سكرٍ رأسي ثقيل وبي نشوةٌ تشوبُها ترنيمةٌ كِبْرٍ لأني بعد كل رسالة كنت أمارس رجولتي وأمزق شرايين الورقة لتنزف طوالَ الليل حبرًا وحبًّا ثم أرمي ما بقي في النار لينضج الغرور في نفسي يوما بعد يوم...

أما الآن، أنا هنا أسيرُ رسالةٍ تحتلُّني سطورُها وتُحكم قضبان عباراتها عليَّ...بقدر ما كنت أرقصُ فوق رمادِ خواطرِها، هي الآنَ تلتهمُني ويتَّسع الوجع، أدمنتُ حروفَها...سيدة الوجدان تتنفَّسُ عاطفةً عذراء كانت كلماتها خارطة البحث عن قلب غادرها بلا استئذان، وبقي هنا يطرق بابي وأنا تركته ينتظر ويحتضر...

هي جمعت كلَّ الأزمنة ولم تتخطَّ الحدود، مغامرةً تسافرُ على مَتْنِ عباراتها حتى وإن لم تتعدَّ رحلتها بياضَ الحُلم...هي امرأةٌ مصنوعةٌ من حبرٍ وورقٍ وخيالٍ، تبتكر زواياها لتكبر مساحةُ الفرح داخل كلماتِها، تختبئُ بين السطور وتبوح أبجدياتها بكل أسرار الحبّ...كانت وافرةَ الأمل تحمل بين يديها قلبًا و

قلمًا يكتب لي...فقط لم تُرِدْ أكثرَ من قراءةِ رسائلِها لتستنشقَ حروفُها عطري وتوصي الورقَ أن يسلم على أناملي حين ألامسه...في نهاية الرسالة تَوَقَّفْتُ لبرهة وتَنَهَّدْتُ بعمقٍ...كَثُرَتْ الخَرْبَشَات، وتبعثرت حروفُها، وخفت بريق الشوق، ثم عادت إلى آخر السطر وقالت: "عدني أن تكون دائما بخير لأجلي...سلام"...

لم يكن الأمر بهاته السهولة؛ فأنتِ سيدتي طَوَيْتِ الرسالة لكن الماضي لم يُغادر؛ إنه يحيل الحاضر أضغاثَ أفكارٍ...كانت هاته الرسالةُ الأخيرةَ والوحيدةَ التي نَجَتْ من حماقاتي العديدة ولم ينفّذ فيها حكم الإعدام، لا أعلم كيف! ربما لتبقى لعنتُها معي أم هو القدر؟...امرأةٌ تعيش على قيد الكتابة...توقفتْ رسائلها فجأة؟! نعم ماتت، مات الجسد الذي لم تُعِرْهُ يومًا انتباهًا، ولم تعش بداخله إلا من خلال خبر موتها!!

أعاد لي ما كان، وتوقَّفَ معه ما سيكون، توقف الوقت وأصبحت الأيام تشبه بعضَها، وكل تفاصيلها لا طعم لها ولا لون...موتُها كان إعلانًا عن أني سأبقى على قيد الوفاء...لأنه لم يَبْقَ لي سوى التحديق في الحروف، فهمتُ متأخرًا أن قلبي لم يَتَّسِعْ لحبٍّ يختصر الكون...كانت تحلُم فقط أن تحيا قرب ابتساماتي!

والآن...أنا في هذا الوسع من الأحزان...بقيت وحدي أبحث عنها بين ما كان وما لم يكن...إذا كنتِ قد أحببتِني حقًّا؛ فخذيني سيدتي من هنا...اسحبيني إلى عالمٍ من ورقٍ؛ لأني هناك فقط وُلِدْتُ وكَبِرْتُ على يديك...أما الآن أنا بقايا إنسان يُلَمْلِمُ قلبًا أعياه البحث عن مملكة الوجدان!!

لا أَفْقَهُ شيئًا

رحاب عيسوي - مصر

جامعةُ القاهرةِ كبرى الجامعات العربية وإحدى الجامعاتِ الدولية التي تم الاعتراف بها ضمن التصنيفات الدولية الأخيرة للجامعات، جامعةُ القاهرة كانت حُلمي الوحيدَ الذي حلُمت به مرارًا وتكرارًا منذ طفولتي، ومع الأسف نظرًا لفقرِ أسرتي الشديد؛ اضطُرِرْتُ إلى العمل وأنا في المرحلة الإعدادية بإحدى محلات البقالة؛ مما أدى إلى حصولي على مجموعٍ صغيرٍ في تلك المرحلة والالتحاق بالتعليم التِّجاريّ بدلًا من الثانوية العامّة، ولكن ذلك الحُلمَ كان يتجدَّدُ داخلي دائمًا؛ فأنا من سكان منطقة (بين السرايات) بالقاهرة التى تقع جانب الجامعة، وَأَمُرُّ بها كل يومٍ وأحلُم أن أكون من طلابها...

وبعد أن حَصُلْتُ على (دبلوم التجارة) بمجموع كبير؛ قررت أن ألتحقَ بالمعهد الفنِّي التِّجاري، وكنت أعمل في ذلك الوقت بإحدى مكاتب الآلة الكاتبة للحصول على مصروفاتي، وطوال دراساتي وعملي لم يتوقّف حُلمي بأن أكون طالبًا في جامعة القاهرة، وبعد عامين أنهيتُ دراساتي بالمعهد وحصُلتُ على تقدير (جيّد جدًّا) مما قد يؤهّلني لعمل "معادلة"والالتحاق بكلية التجارة جامعة القاهرة...

أخيرًا تَحقّق حلمي الذي حلمت به مرارًا وتكرارًا، ولم يقهرني فقري ويبعدني عن تحقيقه، وأصبحت طالبًا بالفرقة الدراسية الأولى، ولم تَعُدْ أمامي عقبة لاستكمال دراستي سوى الحصول على المال من أجل توفير مصاريف الدراسة، وقد كان من السهل عليَّ أن أعمل لأنَّني طالبٌ منتسب ولستُ منتظمًا وقد وفقني (الله) للعمل كمندوب مبيعات باحدى الشركات، والحمد لله استطعت أن أحصل على تقدير (جيّد جدًّا) طوال الأربع السنوات، ولولا عملي وتغيبي عن الحضور؛ لحصلت على تقدير (امتياز) وأصبحت الأول على الدفعة، فمع الأسف لم أستطيع أن أعين معيدًا بالكلية.

ولأول مرة أحسستُ بأن فقري هو الذي منعني من ذلك؛ فلولا فقري ما احتجتُ للعمل وفقدتُ درجاتِ أعمال السنة بسبب الغياب، ولكنّي حمدتُ (الله) على النجاح وقررتُ استكمال دراساتي العليا، فشهادة البكالوريوس دون وساطة ودون إجادة للغةِ الانجليزية والحاسب الآلي؛ لم توفِّرْ لي العملَ المناسب، ولكن مع الآسف اضطررت للذهاب للجيش حيث جُنّدتُ ضابطًا، وبعد ثلاث سنوات خرجت للحياة العملية وقررتُ أن أعاود العمل بالشركة التي كنت أعمل بها مندوبًا للمبيعات ولمْ أستطعْ التقدُّم للماجستير لانشغالي الفترةَ الصباحيَّةَ؛ فقررتُ الحصول على "دبلوم دراسات عليا" واستطعت في تلك المرة أن أحصل على تقدير (امتياز) وبدأت بالفعل أن أبحثَ عن الوظيفة المناسبة في شركةٍ مرموقةٍ؛ فأنا خريج جامعة القاهرة بتقدير (جيّد جدًّا) ودبلوم فى "الإدارة العامة"بتقدير (امتياز) ولكني لم أُوَفَّقْ في الحصول على العمل لعدمِ وجود وساطة؛ وظللت أعمل كمندوب مبيعات وقررتُ أن أحصل على دبلومٍ آخر في "الدراسات البنكية والمصرفية"للعمل بإحدى

البنوك خاصةً بعد علمي أن حصولي على دبلومتين سيوفّر لي نفس الدرجة الوظيفيّة والراتب الذي يحصل عليهما حاملو درجة "الدكتوراه"إذا عُيِّنْتُ فى إحدى الجهات الحكومية...

وبالفعل حصُلتُ على دبلوم "الدراسات البنكية والمصرفية"بتقدير (امتياز) ولكني ما زلت مندوبًا للمبيعات، وقررتُ أن أعمل بإحدى البنوك؛ فأنا شابٌ قد بلغتُ اثنتين وثلاثين عامًا وحصُلتُ على "بكالوريوس تجارة" تقدير عام (جيّد جدًّا) ودبلومتين بتقدير (امتياز) ولا بُدّ أن أعمل وأخيرًا حصُلتُ على ميعاد للمقابلة لاختبارات التعيين بعد أن قدّمتُ (السيرة الذاتية) لمعظم البنوك المعروفة...ولكنني لم أَجْتَزْ اختبارات التعيين؛ فلم أوفق فى التعامل مع الكمبيوتر، ولم أستطع ترجمة النصوص الإنجيليزية، كما لم أستطع إعداد (قيود التسوية البنكية السنوية) فدراساتي دائمًا تشمل الجانب النظريّ وتعتمد على الحفظ وليس لديّ أيّ خبرة عملية؛ كل ما أملكه هو التقدير العلمي واللباقة وحسن المظهر...

وأدركتُ يومها أنه لا مصير أمامي سوى الاتّجاه إلى التدريس الجامعي؛ فحصولي على (الماجستير والدكتوراه) قد يؤهّلني للتدريس في الجامعات والمعاهد الخاصة؛ وبالفعل تقدمتُ للحصول على (الماجستير) ولكني اضطررت إلى ترك العمل كمندوب للمبيعات من أجلِ التفرّغ للدراسة في الفترة الصباحية، وبدأتُ أبحثُ عن عملٍ في الفترة المسائية لكنّي لم أوفق فاضطرتُ إلى الرجوع إلى العمل بِمَحَلِّ البقالة التي كنتُ أعمل به وأنا طالب بالاعدادية منذ عشرين عامًا؛ وأدركت يومها أنّي لا أفقه شيئًا!!

أنتَ لقلبي حياة

فاتن عبد الرؤف عبد المتجلى – مصر

كعطرٍ مخنوق داخل زجاجتِه؛ إذا فُتح عنه الغطاء تمدّدَ في الهواء!

لا يدري ماذا يفعل؛ أيتركُه محبوسًا ويكون في نظره خائن، أم يطلق سراحه ويكون في نظره قاتل؟!

كانت تلك حالتَه، فمنذ أن رآها فى إحدى المحاضرات، انتابه هذا الشعور، شعور قاتلٌ بأنه سَيتسَبّب دون قصد في فتح جرحٍ لها لا يلتئم أبدًا.

فقد كانت فتاةً وحيدةً صامتةً، تجلس دائمًا على أريكة في حديقة الجامعة، كان يراها يوميًّا ولا يجرؤ على الاقتراب منها، وفي نفس الوقت لا يدري ما الذي يجذبه إليها؟!

ربما الذي يجذبُه إليها بساطةُ جمالِها؛ فهو يرى كلَّ يوم الكثير من الجمال المصطنَع بأدواتِ التجميل والملابس المبالغِ في زينتها، لكن كان في جمالها شيءٌ من البساطة والوقار، شيءٌ مهما حاول وصفَه؛ ستخونه الكلمات، وهذا الشيء كان ساحرًا؛ فهيَ تُشبه أميرات العصور الوسطى؛ ذاتُ بشرةٍ خمريَّة اللون يَشُوبُها شيءٌ من الحمرة، وشعر طويل، وعيون سوداء، تغطى جسدها دائما بثوبٍ أسودَ اللون وكأنّها أعنلتْ الحداد على شيء مات بداخلها!

لكن ما كان يُقلقُه دائمًا هو صمتُها المبالغ فيه؛ فهو منذ فترةٍ يراقبُها؛ ولم يرها مطلقًا تتحدَّثُ مع أحدٍ، بالرغم من أنّ هذا الصمت جعل حولَها هالة من الهيبة والشموخ إلا أنّه كان يقتُلُهُ؛ فهو يريد أن يتقرب منها ويتحدث إليها ويسمع صوتَها، لطالما اشتاق إلى سماع صوتها، لطالما أراد أن يقول لها أنَّه حقًّا يُحبُّها، إنه لم يكن يؤمن يومًا أنّ هناك شيئًا يُسمَّى (الحبّ من أوّل نظرة) ولكنّه ها هو يقع أسيرًا في شباك حبّها.

لطالما أراد اختراق هذا الحزن الذي يغزو عيونها الجميلة، لطالما أراد أن يُغازلَها قائلً: "كيف لهذه العيون الجميلة أن تكون بكل هذا الحزن؟! كيف لهذه العيون التي من المنتظر أن تعانقَ الحياة بكبرياءٍ وغرور؟"

ها هي ترمق الحياة بنظرةِ حزنٍ وعتاب، وكأنَّهُ يوجد بينها وبين الحياة ثأرٌ قديم أو انتقام دفين!!

ولكونه أستاذًا جامعيًّا؛ منعَه منصبُه من هذا كلِّه، فكيف يقول هذا الكلام لطالبة لديه؟!

ظلّ طوال أيام شريدَ الذهن معذَّبَ الفؤادِ، لا يستطيع أن يتحدّثَ معها ولا يستطيع أن يتجاهلها، حتى إنه شَعُرَ أنَّ طلابَه لاحظوا هذا التغيّر الذي طرأ عليه... حقًّا الحبُّ مثل الموت يأتي على حين بغتةٍ يَسلبُنا أرواحَنا ولا يقدّم لنا أعذارًا...

لكنّه اليوم بعد نهاية المحاضرة، سَمِعَ بعضَ الفتيات يتهامَسْنَ فيما بينهن ويُشِرْنَ إليها وَهُنَّ يقُلنَ: "مسكينةٌ هذه الفتاة لا تستحق كل ما حدثَ لها؛ لم تكن الحياة عادلة معها!".

أخذَ يُحَدِّثُ نفسهُ في حيرةٍ ويقول: "يا إلهي ما الذي حدث معها؟! وماذا فعلت بها الحياة؟!"

هو حقًّا يراها حزينةً صامتةً طوال الوقت ولكنه اعتقد أنها فقدت عزيزًا عليها، وهو الآن شعر أنّ وراء هذه العيون الحزينة سرًّا كبيرًا وألمًا عميقًا، ولابد أن يعرفه؛ لذلك ذهب مسرعًا في اتجاه الفتيات وعندما بدأ يقترب منهن توقف فجأةً وتمالك نفسه!

أخذ يحدِّثُ نفسه في ضجرٍ قائلًا: "تبًّا لهذا المنصب! ليتني إنسانًا عاديًّا أو درويشًا للحب وقتها كان من الممكن أن أقتربَ منها".

بعد سماعه للفتيات، أخذ يفكّر في حيلة لكي يعرف ماذا حدث لها؛ فلا مَفَرَّ من ذلك، وبعد الكثير من التفكير وجدَ طريقةً لعلّها تجدي نفعًا ويبلغ مراده؛ حيث إنّه طلب من جميع الطلاب أن يكتبوا إحدى التجارب المؤلمة التي تعرّضوا لها في حياتهم دون كتابة أسمائهم.

كانت هذه الحيلة منطقيةً ولن يشك أحد فيها؛ حيث إنّه كان يدرّسهم مادة علم الاجتماع.

أخذ يحدِّث نفسه ساخرًا: "حسنا ليس منصبي بكل هذا السوء!".

ظَلَّ يراقبُها في نفاذِ صبرٍ وقلقٍ وهي تمسكُ بالقلم بيدٍ مرتعشةٍ وتنظرُ للورقة كمن ينظر لمشهدٍ مُرْعِبٍ! لعله بهذا الطلب فتحَ في قلبِها جرحًا ما يزال حديثَ العهد، ثم تمالكت نفسَها وأخذت تكتبُ وتكتب كمن أتيحتْ له الفرصة ليزيحَ جبلًا من الهموم عن كاهله إلى أن انتهت من الكتابة.

بعدما جمع كل أوراقِ الطلبة؛ ذهب إلى مكتبه مسرعًا واخذ يفتّش فى جميع الأوراق إلى أن وجد ورقتَها حيث إنَّهُ يعرف خطَّها؛ انتابه شعورٌ غريب، أخذ قلبَه يدقّ بسرعةٍ ويده ترتعش وكأنه يدرك كم الألمِ التي تعرضت له!

كان مكتوبا في ورقتها: "كفتاةٍ صغيرةٍ كانت كلّ أحلامها تقتصرُ على عروسةٍ تلعب بها مع أصدقائها ولكنّها لا تدري أنّ هناك من يقرّرُ مصيرها؛ فأوان مصيرِها قد حُدِّدَ منذ ولادتها..فبعد انتهاء الثانوية العامة أردتُ مثل جميع الفتيات دخول الجامعة ولكنَّ أحدهم قرَّرَ أنه يكفيني التعليم السابق ولا بُدّ من زواجي الآن، وبعد الكثير من البكاء والرفض؛ تقرَّرَ ذلك وكأنَّهُ أمرٌ منزل من السماء لا رجعة فيه!

وما زاد من مأساتي أن زوجي كان رجلًا مجنونًا عديمَ القلب والدين لا يرى سوى جسدٍ بلا روح، كان كل ليلةٍ يتحوّل إلى شيطانٍ ذي قرونٍ ينهش في جسدي بلا رحمةٍ، كنسرٍ جارحٍ ينقضُّ على جثةٍ ملقاةٍ؛ فقد قتَل بداخلي كل رغبة في الحياة!

ولكنني تحمَّلت كل هذا صامتةً، حدث معي ما لا يتحملُه عقل بشري!!

فهذا الشيطان لم يكن قطُّ زوجًا بل كان قَوَّادًا يتاجرُ بجسدي ليكون عرضة لكلاب الشوارع من السُّكارى والمدمنين!

أحقًّا هذا رجل؟! أيُعقل أن يفعل زوج هذا بزوجته؟!

فقد حوَّلَ حياتي لجحيم؛ فهذا المدعو زوجي كان يضع في غرفةِ النوم كاميرا يُصوِّرُ بها كلَّ ما يحدث بيننا؛ ثم يأخذ هذه الفديوهات ويبيعها لأصدقائِه نظير المال أو المخدِّرات..أخذ جسدي يرتعش وأنا أراه يفعل ذلك، لا أدري ماذا أفعل؟! فقد حَوَّلَني من فتاةٍ لا تبلغُ من العمرِ سوى تسعة عشر ربيعًا إلى عاهرة..انتابني شعورٌ قاتلٌ كفتاةٍ جَرَّدَها أحدهم من ثيابها وسط حشودٍ من الناس.

بدأت في الصُّراخ والبكاء، وتحطيم كلّ شيءٍ؛ فدخل عليَّ وأخذ يضرب فيَّ ويقول لي: "ماذا تفعلين؟". وعندما واجهتُه بالذي عرفتُه؛ استمرَّ في ضربي وهو يقول لي: "أنتِ وجسدك وقَدْرُكِ ملكي أفعلُ بهم ما أريد"!

وبعد مشاجرةٍ وضربٍ مبرحٍ؛ كدت أن أموت في هذه الليلة إلى أن أمسكتُ بزجاجةٍ وضربتُه بها فوقَ رأسه؛ فأرديتُه قتيلًا فَحَوَّلَني بذلك إلى قاتلة!

لكن لحسن حظي أن الكاميرا التي وضعها في غرفة النوم صَوَّرتْ كل ما حدث بينا؛ فتحولت القضية من جريمة قتلٍ إلى دفاعٍ عن النفس وَتَمَّتْ تبرئتي من تهمة القتل...

فكنتُ يا سيدي مثل شخصٍ وقع من الدورِ العاشر لكن لحسن حظِّه أنَّهُ كان يوجدُ فى الدور الخامس سترةُ نجاةٍ معلقةٌ ثم أخذ الناس من فوقه وتحته يتعجبون ويقولون: "يا لحظ هذا الشخص؛ فلقد نجا بأعجوبة ولكن عندما ذهب رجال الإسعاف ليُنزلوه؛ وجدوه ميْتًا إثر سكتةٍ قلبيّةٍ!!

فقد نجوتُ من الإعدام ولكنّني لم أَنْجُ من كلام الناس.

فبعث بي أهلي لأعيش مع عمَّتي وأُكمل تعليمي؛ رُبَّما أجدُ فيه الملجأ والملاذ!!

سَرَتْ في جسده رعشةٌ وهو يقرأ كلامَها كسريانِ السّم البطيء في الجسد!

أخذ يحدِّثُ نفسه في حُنْقٍ وكأن ألمًا يعتصر قلبَه: "ما هذا الظلم الذي تعرضت له فتاة في مثل سنها؟! يا لقساوة الحياة معها!".

بعدما عرف قصتَها؛ ازداد حبُّه لها وعزم على شيء هو أنه إن كان مقدرًا له الزواج؛ سيكون منها هي فقط!

فذهب إليها في نفس المكان التي تجلس فيه دائمًا، وعندما رَأَتْهُ؛ وقفت مذعورةً وقالت: "ماذا حدث يا سيدي؟!"

فأجابها باسِمًا: "هل تتزوجينني؟"

نظرت إليه في دهشةٍ وقالت بصوتٍ مُتَلَعْثِمٍ: "أتزوجك أنتَ، أقصد: حضرتك؟".

قال لها: "نعم، أنا"!

فقالت له بصوتٍ حزين: "عذرًا يا سيدي؛ فأنا لا أريدُ الزواج!".

فقال لها: "ولكنني أحبُّك!".

فقالت له: "أنت لا تعرف شيئًا عني؛ ابتعد عني يا سيدي فأنا لعنةٌ أخافُ أن تصيبَك!".

فقال لها: "بل أعرف كلَّ شيء. قبل أن أعرفَ كنت أحبك، وبعدما عرفت عشقتك وزاد احترامي لك، فلا تعاقبي نفسَك على ذنبٍ لم تقترفيه، ولا تعاقبيني على ذنبٍ لم أقترفه، أعطِ الحياة فرصة لمصالحتك!".

شعرت بالارتياح لكلامه، وأحسَّتْ أنَّ الحياةَ علمت كَمَّ الظلم الذي أوقعتْه عليها، وأن (الله) –سبحانه- يريد تعويضها، وأنّ السعادة تنازلتْ عن كبريائها وَدَقَّتْ بابَها؛ فوافقت على طلبه عساه أن يكون مكافأةً من (الله الكريم) لها!

الغَزْو

حسني الجهيني – مصر

"أَلَمْ يكن من المفترض اختيار أجسادٍ تليق بنا .. خيرٍ من هذه الأجساد الهشة المهينة!؟"

قالها الضابطُ لقائده وهو يجول في ذلك المختبر الخاضعِ لهيئة الأبحاث العلمية المصرية ..

عندها قال له القائد في لهجةٍ حازمةٍ:

- "غبي .. إنَّكَ لا تعرف مدى عبقريّة هذه الخطة .. احتلال العالم بجيش من النَّمْل .. لن يتوقعوا ذلك مطلقًا".

أنا من قُمْتُ بعرضها على زعيم كوكبِنا .. وَلَاْقَتْ الفكرةُ رواجًا كبيرًا في البلاط الملكيّ .. بفضل أجسادنا السيتوبلازمية .. يُمكنُنا التشكّل في أي صورة .. نأخذ نفس صفات الجسد المضيف .. خصائصه .. لن يشكّ فينا سكان ذلك الكوكب مطلقًا ..

تخيّل مليارات الجنود المحاربة من النّمْل .. بتشكيلاتٍ منظَّمةٍ .. سنسيطر علي العالم أجمع ..

هؤلاء البشر برغم كلِّ التطور الذي هُمْ فيه ضعفاء .. مجرد حشراتٍ صغيرة سترعبهم ..

فَكِّرْ في الأمر.. لو أنَّ نملةً واحدةً دخلت أُذُنَ أحدهم؛ سيصيبه الجنون حتمًا

فما بالك بجيشٍ من النمل .. لا احتمالية للإخفاق في هذه الخُطَّة ..

لن يتوقعوا من أين سيهاجموهم .. من تحت الأرض .. من بين شقوق الجدران .. الأمر سهل .. والموضوع لن يستغرقَ إلَّا أيامًا معدودةً وسنسيطر علي الكوكب بأكمله ..

قال له الضابطُ وهو ينظرُ إلى أجهزةِ المختبر العالية التقنية:

- "ولكن كيف سنتواصل مع أولئك النمل، ومن قال أنهم سيخضعون لنا أصلا؟".

قال له القائد وهو يجول حولَ نفسه بعصبية:

- "طوال الآلاف السنين .. كان علماؤنا يدرسون تاريخ هذا الكوكب .. فَهِمُوا طبيعةَ الجنس البشري، ودرسوا كافة شيءٍ حول الحيوانات والحشرات .. الطيور وحتى الأحياء الدقيقة ..
البشر نفسهم يعلمون أن للنمل لغةً .. حتى كتبهم السماوية تتحدَّثُ عن ذلك .. أنت قرأت القصة التي أريتك إياها في كتاب علم التاريخ البشري لدينا، حَوْلَ تلك النملة التي خاطبت نبيَّهم (سليمان) .. المشكلة أن أغلبهم تجاهلوا

الفكرة .. ما عدا علمائهم الذين حاولوا دراسة هذه اللغة ولكن جميع تجاربهم باءت بالفشل ..

بفضل علمائنا وأجهزتنا الدقيقة تَمَكَّنَّا من ابتكار وسيلةٍ خاصةٍ تُمكِّنُنا من التحكم فيهم .. موجات خاصة تسلبهم ارادتهم، تشبه تلك الموجات التي يستخدمها النمل في التخاطب ..

قاطعه الضابط قائلًا:

- "ولكنك لم تجب عن سؤالي .. وما أدراك أن النمل سيطيع الأوامر وسيستجيب للخطة؟".

- "لهذا اخترتك أنت لمرافقتي في تلك المهمة .. إننا استطعنا إقناع الزعيم والبلاط بأكمله .. هل سنفشل في قياده مجموعه من النمل .. ثم إنك لم تلاحظ الجسدَيْن الذين اخترناهما .. إنهما جسدان لمَلِكَتَي نمل، سيسهّل علينا هذا المهمة".

قال الضابط وقد نما شعور الاطمئنان لديه:

- "وماذا بعد؟! .. مضى أسبوع ونحن في هذا المختبر.. راقبنا الكثير من البشر .. وراجعنا سجلاتِهم العلمية الضخمة .. هل سنبدأ التنفيذ الآن؟".

قال له القائد في حماس:

obeikandl.com

- "نعم .. ساعة الصفر قد حانت .. وما هي إلا أيام وسيكون العالم كله ملكَنا .. سنتّجهُ إلي أقرب وادي نَمل .. عندها ستبدأ الأمور الهامة".

قالها واتَّجَه هو ومساعده نحو بابِ المختبر الضخمِ متّجهَين إلى وادي النملِ الذي حدّدته أجهزتُهم غير عابئين بعاملِ النظافة الذي بدأ توًّا دوامَهُ الصباحيّ وهو يسحقُهم بقدمه وهو يقول بعفويةٍ:

- "نمل لعين .. كيف تسلّل نمل إلى هذا المختبر الفخم .. ينبغي أن نغير شركة الرشّ تلك!".

غيرَ عالمٍ أنّه قد أنهى توًّا خُطَّة غزو، وحربًا كان العالم سيعاني من ويلاتها إلي الأبد!..

obeikandl.com

قصّة دَرْويش

رضوى محمود - مصر

أثناء ذهابي إلى العمل اعتدتُ أن أَمُرّ يوميًّا أمام محطة قطارٍ تفيض دائما بمختلف الأنواع والألوانِ من البشر، ولكنّ اليوم لفت نظري شيءٌ أكثر اختلافا منهم، أحد زُهّاد الحياة رافضي التعايش .. لا أحب أن أطلق عليهم (مجانين) أو حتّى (مجاذيب) لأنّنا لا نعلم ما مرّ به قبل هذا الرفض البائن لكل ما تقدّمه لهم هذه الدنيا، فكثيرٌ منهم يومًا ما أو ربّما ما يزالون يملكون عقولًا أفضل ممن يملكون أكبر الشهادات ولكن الحياةَ فرصٌ وأحيانا لا تعطي الفرصَ للاحق بها!

لم تكن المرة الأولي التي أرى فيها هذا الزاهد، ولكنّني اليوم اندهشتُ عندما رأيتُه يقرأ أحد الكتب، توقفتُ أمامه وحاولت أن أسرق بنظري اسم الكتاب الذي يقرؤه ولكنه لحقني بنظرة أرعبت قلبي، سرت بعدها مسرعةً في طريقي.

طافت حولي بعدها مشاعر من فضول لم أستطع السيطرة عليها، استمررتُ في متابعة هذا الرجل حوالي أسبوعٍ تقريبًا، أشاهده وهو يقرأ من بعيدٍ ولا أستطيع أن أقترب بعد تلك النظرة، ولكنّ فضولي أطاح بي إلى أبعد من ذلك فقررت أَن أَبحث حول ما أودى به إلى هذا الحال!

كان يوجد أمام محطةِ القطار كُشْكٌ أبتاعُ منه في طريقي، توقَّفْتُ عنده واشتريْتُ عدة أشياء، وأثناء محاسبته سألتُه عن حال هذا الرجل، وهل هو دائمُ القراءةِ هكذا، وهل يؤذي من يتحدّثُ إليه؟

فأجابني: "إنّه منذُ أن جاءَ إلى هذا المكان ويطلقُ عليه أهل الحي (دَرْويش) لما يُكَرِّرُ من جملة {حكمتك كانت ايه يا رب}، وهو لا يؤذي إلّا من يتعدى عليه، وأصحابُ القلوبِ المعطاءة من أهل الحيّ يتولون طعامه وشرابه، وهو لا يتحدّثُ مع أحدٍ منهم، لكنّ بعض الأطفال يضايقونه سواء بالكلام أم بركلِه بالحجارة؛ فيكون فعله مجرد ردة فعلٍ، ودائمًا ما أراه منهمكًا في كتبه والقراءة طوال اليوم.

حديثُ صاحبِ الكُشْك لم يهدئ من وَلَعِ فضولي بل زادَهُ ولعًا؛ وقَرَّرْتُ في اليوم الثاني أن أقترب منه وأنا لا أَدْري ماذا هو بفاعلٍ ولكنّه قال لي أنّه لا يؤذي إلّا من يؤذيه وأنا لا أريد إلا أن أعرف حقيقة وجودِه في هذا المكان بهذا الوضع ..

هل معرفةُ حقيقتِه تعبترُ أذيّة له؟ لا أعلم .. ولكنّني اتخذتُ القرار..

اقتربتُ منه وقلتُ له: "أنا جيبالك معايا أكل وعصير ممكن تقبلهم مني، وكمان عرفت إنّك بتحب القراية فجبتلك من مكتبتي كام كتاب!".

نظر إليّ نفس النظرة التي تخلعُ القلبَ من مكانه ولكنني هذه المرة آزَرْتُ قلبي وأعدتُه إلى صدري، وَصَمَدْنا معًا ضدَّ تلك النظرة؛ خطف من يدي ما كنت أحمله له حتى كدتُ أن أسقط!".

تحدث وقال لي: "إنتي عايزة مِنّي إيه .. بقالك فترة بتحومي حواليا ليه؟".

- "والله أنا مش عايزة منك حاجة ولا هأذيك .. متخافش .. إنت ممكن تاكل وأنا هقعد جنبك هنا أشوفك بتقرى كتب إيه".

- "هنا على الرصيف؟".

- "أيوه، وفيها إيه؟".

جلستُ ووسَط دهشته لمستُ بروحه أنّه قد اطمأنّ لي، كان جائعًا فأخذ يأكل وينظر إليّ وأنا أقلّبُ بين دفاتره لعلّني أجدُ شيئًا يمحو ما أُبهَم أمامي، وجدتُ كتابًا صوفيًا، وآخر لنجيب محفوظ، وأكثرهم كتب جامعية ..

فسألتُه: "هو إنت بتجيب الكُتُب دي منين؟".

- "فيه ساكن في الشارع ده جاب لي زيك كده كام كتاب، والباقي كتبي وأنا في الجامعة".

- "إنت كنت في كلية ايه؟".

- "علوم!".

- "طيب وسِبْت الجامعة ليه؟".

هاج وماج بعد هذا السؤال وكادَ أن يركلني بالحجارة كما يفعل معه الأطفال

- "إنتي بتلفّي وتدوري على إيه .. عايزة تعرفي عنّي إيه؟".

obeikandl.com

- "لو ممكن أقدر أساعدك في حاجة لو في إمكاني!".

- "أنا مش عايز مساعدة من حدّ .. وخدي كتبك وامشي من هنا!".

- "طيب خلاص اهدأ؛ أنا مش عايزة الكتب خلّيها، وأنا هامشي ولو احتجت حاجة نادي عليّا؛ أنا بَعَدِّي من هنا على طول".

تركتُه وولّى وجهي إلى طريقي، وسرتُ وعقلي ينتفضُ من كثرة الأفكار، ما الذي يجعل شابًّا جامعيًّا كهذا يتركُ العالم ويأتي مصاحبًا كتبَه إلى هنا!؟".

مرّت أيّامٌ ليست بالكثيرة له وليستْ بالقليلةِ لي، كنت أَمُرُّ أمامه وأبتسم حتى أجعلَه يطمئنّ لي مَرَّةً أخرى ولكنّه كان ينظر إلى الأرض كلَّما رآني، ليست كسرةً منه ولكنّه اعتراضٌ على فضولي تجاه حياته الخاصّة..

وبعد أن فقدتُ الأمل، نادى عليّ أثناء مروري يومًا بحُجَّةِ أنَّهُ بحاجةٍ إلى مياه؛ أعطيتُه إياها، وبعد أن ارتوى قال لي:

- "أنا عايز أتكلم مع حدّ وكل اللي هنا شايفني مجنون .. لسّه عايزة تعرفي أنا سبت الجامعة ليه؟".

- "طبعًا، لو عايز تحكي ومش هضايقك!".

وبدء يقصّ عليّ قصته ...

نشأ (عماد) الذي أطلق عليه أهلُ الحيّ (درويش) من أسرة ثريةٍ إلى حدٍّ ما، كان والدُه صاحب أكبر محلات أثاث بالسويس وكان له من الأملاك العديد

من عمائر ومخازن ومحلات، وبجانب كل هذا قسوةُ قلبٍ حادٍّ كالسيف، ووالدته كانت ربةَ منزل طيّبةُ القلب وبالنسبةِ لهُ كانت الطمأنينة والأمان والأُذُن التي لا تملّ يومًا ما مهما ظلّ يحكي، وكان لديه من الإخوة اثنان أكبر منه بسنواتٍ ليست كثيرة.

ماتتْ والدتُه وهو في السنةِ الثانية من الجامعة وحينها رحل معها كلُّ معاني العطف والحنان من حياته، وازدادتْ معاملةُ والدِه قسوةً وأصحبت أكثرَ جفاءً!

وفي ليلةٍ غضبتْ فيه الطبيعة على (عماد)؛ فأرادت له أن لا ينعمَ بشيءٍ في هذه الدنيا، جمع الأب ولديه وأخبرهم أنه يشعر بالمرض، وخوفًا من الشِّجارِ حول أملاكِه؛ سوف يُقَسّمها بينهم في حياته، وقسّم كل ما يملك على أخويه الاثنين ولم يذكر حرفًا من اسم (عماد) بهذه التركة، وعند اعتراضِه على ما فعله والده؛ وقعت عليه الصاعقة التي أنهتْ حياتَه!

أخبره أنه (لقيط) ليس له من الأصل نسب، وجدَته زوجتُه تحتَ بيتهم وبرغم اعتراضه على تربيته بين أولاده وإرادته في أن يضعَه بأحد الملاجئ؛ إلّا أنّ زوجتَه أصرّت على بقائه واعتبرته هديةً من (الله) لها وقالت له: "إنّ (الله) لو أرادَ له الحياةَ بملجأ؛ ما أرسله تحت بيتِنا".

وتربَّى بين أولاده كأخٍ لهم، لا يعلم أحد عن هذا السّرّ شيئًا سواه هو وأمّه، وساعدهم على ذلك أن كبير أبنائهم كان تعدّى السنتين بشهورٍ؛ فلم يدرك أحد منهم من أين جاء ثالث لهم.

أثناء حديث والده، شعر للحظةٍ أنّه لم يخلق بعد وأنّ كلَّ ما مرَّ به كان حلمًا لم يستيقظ منه بعد، أكملَ والده الحديث: "إن إكرامًا للعِشْرة والعمر الذي قضاه بينهم؛ سوف يترك له هذه الشقة يعيش بها بعد وفاته، ولو أراد بيعها يومًا ما؛ يتقاسم الثمن مع أخويه!

هام بعدها على وجهه لا يعرف له قبلة، لَمْلَمَ أوراقه وما استطاع حينها أن يجد من كتبٍ وركب قطار القاهرة، ومن هذا اليوم اتّخذَ من هذه الأرض سكنًا له.

عاد إلى الشارع مثلما أُلقي إليه أوّلَ أيامِه، ظَلَّ يبحثُ عن (حكمة الله) في حياته، لماذا حَمَلَ وِزْرَ غيرِه، لماذا حَطَّمَ الظروف قلبًا كانت له آمالٌ بعد أن استراح في بيتٍ وأُسرةٍ؟ لماذا لم يَمُتْ منذ ولادتِه حتى لا يرى هذا اليوم؟ لَمْ يكن هو من ألقى بذور الشرّ ولكنّه جنى ثمار أبٍ وأُمٍّ أتتْ به إلى هذه الدنيا في غفوةٍ عن الزمن وعن الضمير وعن الأخلاق!؟ ..

سرتُ بعد سماعي لقصته كالمغيّب عقلُها، لا أدري ماذا أفعل ولا أدري كيف أساعده؟! هو لا يريد عملًا، ولا يريد مسكنًا، ولا يريد أي شيءٍ من هذه الحياةِ؛ فقد زهدها، كلُّ ما يريدُه هو أن تصعدَ رُوحُه لمخاطبة (الله) –سبحانه-!

أدرك أن لا قيمةَ لهذه الدنيا ما دام يسكنُها شياطينُ الإنس يتعلّم منهم شياطين الجن كيف يتقنون شر الأعمال!

مررتُ بعد يومين؛ فلم أجده فى مكانِه؛ فسألتُ صاحب الكشك عنه، فأجابني أنّهم قد عثروا عليه ليلة أمس ملقى على القضبان ميْتًا وقد سُرقت أعضاؤه!!

رحم (الله) أرواحَنا عاشت زُهدًا في الحياة .. وماتت حبًّا في (حكمةِ الله)!

ارحموا زُهّاد الحياة؛ فأنتم لا تعلمون ما مَرُّوا به!!

obeikandl.com

الأميرةُ والأَحْمَق

محمد مسعود جاد – مصر

كَانَ الضَّوْءُ يَدُقُّ عَلَى وَجْهِي، وسَوْطُ السَّجَّانِ يَحْفُرُ تَذْكَارَهُ فِي جَسَدِي المُنْهَكِ المَصْلُوبِ عَلَى حَائِطِ البُكَاءِ، فَأَفَقْتُ مِنْ غَفْوَةِ المَجْهُولِ عَلَى أَصَابِعِ الجَحِيمِ، أَتَذَكَّرُ مِنْ أَيْنَ جِئْتُ؟ وكَيْفَ انْتَهَيْتُ؟، كَمَنْ فَرَّ مِنْ أَنْيَابِ المَوْجِ إِلَى جَزِيرَةٍ وأَخَذَ يَلْهَثُ فَوْقَ الشَّاطِئِ فَرَآهَا تَعُجُّ بِالوُحُوشِ، وحِينَ دَاعَبَ عِطْرٌ جَوَانِحِي الَّتِي كَادَتْ تَنْشَقُّ مِنْ رَكْضِ الأَلَمِ فَوْقَهَا، تَنَاسَيْتُ أَوْجَاعِي كَأَنَّمَا رُوحِي قَدْ غَادَرَتْنِي تَتَسَحَّبُ خَلْفَ تِلْكَ الرَّائِحَةِ المُشَبَّعَةِ بِدَمْعَةِ العَذْرَاءِ!

صَوْتٌ نَاعِمٌ يَخْنِقُهُ الدَّمْعُ وآخَرُ مِثْلَ البُرْكَانِ يَتَصَبَّبُ غَضَبًا، فَإِذَا بِصِيَاحِ السَّجَّانِ يَخْتَرِقُ جَمِيعَ مُنْعَطَفَاتِ القَلْبِ يَسَأَلُنِي: "كَيْفَ تَجَرَّأْتَ عَلَى الأَمِيرَةِ؟" حِينَهَا تَشَابَكَتْ خُطُوطُ الذَّاكِرَةِ لِتُنْتِجَ لَوْحَةَ الهُوِيَّةِ الَّتِي تَلَاشَتْ فِي بِئْرِ الخَوْفِ، تَذَكَّرْتُ إِذْ كَانَتْ كَفُّ الطَّرِيقِ تَقْذِفُنِي مِنْ حُفْرَةٍ تَعِيسَةٍ إِلَى حُفْرَةٍ بَائِسَةٍ، كَأَنَّ ضَبَابَ اليَأْسِ يُحَاصِرُنِي كَيْ يَجْتَاحَ مَا تَبَقَّى لَدَيَّ مِنْ حُصُونِ الأَمَلِ!

فشَدَّتْنِي أَنَامِلُ نَسِيمٍ مُتَزَاحِمَةٌ بِيْنَ قُضْبَانِ سِيَاجٍ يَطُوفُ مَعِي، فَقَادَتْنِي نَحْو وَجْهٍ غَرِيبِ الحُسْنِ أُسْطُورِيّ المَلَامِحِ يُطِلُّ مِنْ غُرْفَةٍ يُرَاوِدُهَا الخَيَالُ، حَتَّى إِذَا مَا طَافَ فِي شُرْفَةِ الكَلِمَاتِ تَوَالَتْ عَلَيْهِ العَصَافِيرُ تُصْغِي إِلَيْهِ، كَانَتْ صَاحِبَةُ الوَجْهِ تَشْرُدُ فِي كِتَابِهَا كَمَا يُفَتِّشُ السَّاحِرُ فِي بِلَّوْرَتِهِ عَمَّا يَخْتَفِي وَرَاءَ الوُجُودِ، كَانَ إِيقَاعُ خُطْوَتِهَا سِمْفُونِيَّةً تَمْضِي بِي إِلَى مُدُنِ الأَحْلَامِ النَائِيَةِ، وفِي هَمْهَمَتِهَا قِيثَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ مَا إِنْ يَلْمِسُ لَحْنُهَا القَلْبُ حَتَّى يَخْلَعَ عَنْهُ قُيُودَ التَّعَبِ ويَضَعَ الشَّرُّ أَوْزَارَهُ، وحِينَ الْتَفَتَتْ إِلَيَّ بِوَدَاعَةِ طِفْلَةٍ نَمَتْ أَجْنَحَةٌ عَلَى كَتِفَيَّ، فَلَمَّا قَبَّلَتْ بَسْمَتُهَا الخَجُولَةُ عَيْنَيَّ تَسَلَّقَتُ السِّيَاجَ أَطِيرُ إِلَيْهَا نَاسِيَا مَنْ أَنَا ومَاحِيًا كُلَّ المَتَارِيسِ الَّتِي لَمْ يَضَعْهَا (اللهُ) –جَلّ وعَلَا- بَيْنَ الإِنْسَانِ والإِنْسَانِ!

الوَهْمُ يَمْلَؤُنِي ويُصِرُّ بَأَنَّهَا كَانَتْ تُنَادِيَكَ تَعَالَ إِلَيَّ، حَتَّى انْتَشَلَتْنِي حَقِيقَةُ الوَاقِعِ البَغِيضِ مِنْ ذَاكَ الفِرْدَوْسِ لِتَزُجَّ بِي فِي هَذَا الجَحِيمِ، كَمَّاشَةُ الجُنُودِ تُطْبَقُ عَلَيَّ، انْتَظِرُواْ لَقَدْ نَادَتْنِي صَدِّقُونِي قَدْ نَادَتْنِي، الظَّلَام يَلُفُّنِي مَا هَذَا؟ ما هَذَا؟ أَفْلِتُونِي، ثُمَّ اسْتَيْقَظَتُ والرُّعْبُ سَيِّدُ المكَانِ، ولَمَّا سَمِعْتُهَا تَتَوَسَّلُ لِأَبِيهَا بَاكِيَةً كَي يُطْلِقُواْ سَرَاحَ الأَحْمَقِ الَّذِي حَاوَلَ أَنْ يَمُدَّ لَهَا جُسُورَ الغَزَلِ كَانَ الفَرَحُ يُضَمِّدُ جِرَاحِي وكَأَنِّي قَدْ تَنَاوَلْتُ إِكْسِيرَ الحَيَاةِ، قَالَ أَبُوهَا عَلَى مَضَضٍ: "دَعُوهُ وحَذَارِ أَنْ تُكَرِّرَ فِعْلَتَكَ الشَّنْعَاءَ مَرَّةً ثَانِيَةً ولَا تَنسَ مَنْ أَنتَ!".

فتَوَقَّفَ السَّجَّانُ والسِّيَاطُ يَكْبَحُ بِالكَادِ نَفْسَهُ، لَكِنَّنِي لَمْ أَكُنْ أُفكِّرُ إِلَّا فِي الَّتِي قَايَضَتْ بَدَمْعِهَا كَيْلَا أَغْرَقَ فِي بَحْرِ العَذَابِ؛ فَحَمَلَنِي الحُرَّاسُ وأَنَا أَلْمَحُ فِي عَيْنَيهَا المُغْرَوْرِقَتَيْنِ بالنَّدمِ والأَحْزَانِ نَظْرَةً تَقُولُ: "لَا تَحْزَنْ، يَا لَيْتَنِي مَنْ بَاءَتْ بِمَا تَحَمَّلْتَ!".

وكَمْ كُنْتُ أتَمَنَّى لَو أَبْطَأَ الحُرَّاسُ كَيْلَا تَغِيبَ صُوْرَتُهَا حَتّى تَنَامَ فِي عِينَيَّ، وحَينَ لَفَظَونِي أَمَامَ البَوَّابَةِ خَارِجًا كَمَا تُرْمَى القِمَامَةُ إِلَى سَلَّةِ المُهْمَلَاتِ هَمَسْتُ فِي نَفْسِي: "رُبَّمَا فَقَدْتُ الكَثِيرَ مِنِّي ولَكِنْ رَبِحْتُ الأَكْثَرَ الَّذِي لَمْ يَخْطُرْ لِي بِبَالٍ!".

جُمْهوريّة الماعز

مجدي محمد حافظ – مصر

طوابيرُ متراصةٌ بسوادِ العبايات والجلباب البلدي؛ القمصان الأفرنجية المفتوحة الصدر والبنطال الضيّقُ أعلن أيضا عن وجوده؛ الأقفاص الخشبية قد علتْ فوق الرؤوسِ لتستظل بها من الشمس الحارقة؛ مختلف الأعمارِ من شبابٍ وشيوخٍ حتي الأطفال تراصّوا بين هذه الأمتار الطويلة خارج الفرن النصفِ آلي؛ حرارةُ الفرن القادمة من داخلِه قد صبَّ جامَ غضبِه على الجموع الواقفة خارجَه؛ الكلّ يتحسّسُ المناديل بأنواعها وهي تمسح الغضبَ المتصاعد من الوجوه السمراء!

التأفُّف كان واضحًا بعد أن صَبَّتْ الشمسُ بغليانٍ يشوي الوجوه في هذا الجوّ الخانق الحار؛ الخيوط المتراّصة لا تتحرّك؛ الأجولةُ البلاستيكية تخرجُ متسلّلة من داخله إلى مكان مجهول؛ الجميعُ يتغاضى عن السؤال لأنّه معلومٌ أين يذهب والصيحات تتعالى في سبيل الحصول علي الدقيق الأسمر المعجونِ على الأقفاصِ الخشبيّة من أجل سَدِّ الرّمَقِ المفضوح.

جلست بجانب الأبواب الضيقةِ للنصف الآليّ أنتظرُ الفَرَج؛ لم أَذُقْ الزادَ منذ ثلاثة أيام؛ الكل ينظر إلي في احتقار واضح؛ ألا ترون أنّني لم أكنْ في يوم من الأيام شحاذًا؛ كنت صاحب شأنٍ يشار إليّ بالبنان؛ لم يلتفت أحدٌ لما أقوله

بل الكل كان الصمت يغلّفُه؛ ثم تنطلق الهَمْهَمات فيّ بعيدًا عن الصمت؛ اتَّبَعَتْهُ الضحكات من الوجوه التي غرقت في عرقٍ كثيف تبحث عن أي ذريعة للضحك حتى ينقضي هذا اليوم والأيام القادمة بمرّها.

الجلباب الذي أرتديه التصق بجسدي وتفتحت فيه شبابيك غصبًا عني ولم تجرؤ الرقعات على الصمود على هذا الجسد الخشن؛ لم يذق طعم الماء منذ فترةٍ لا أتذكر كم هي طالت؛ الحذاء الذي اهتُرئ وخرجت أصابعي التي اسودّت تمامًا، لقد تشابهت عليّ ناظرًا إليها؛ إنها تشبه لون الأسفلت؛ قرصني الجوع وأنا أنظر إلى الأقفاص الخشبيّة المحمولة علي الأعناق في سرورٍ بالغ؛ أستجدي حاملها أن يعطيني رغيفًا؛ نظرة الاشمئزاز تكسوني وهو يحدقني بها؛ ينصرف غير عابئ؛ حاملا هدية اليوم.

أصوات المعدة الخاوية تعلو؛ تصرخ من الخواء الذي أصابَها؛ لم تكن كذلك منذ بضع سنوات؛ لم يعرف الخواءً طريقَها في يوم من الأيام؛ كان لي ولها أطايب الطعام؛ لم أبخل على أحدٍ بطعامٍ؛ هذا اليسر الذي أصابني أصاب من حولي؛ لم أترك أحدًا بأمعاءٍ خاوية؛ أسمعها تتحسّرُ على الأيام الخوالي!

أنظر إليه وهو يحمل رَصَّةً من الخبزِ وقد تجاوزت الرصّة قامتَه؛ أستجديه أن يعطيني رغيفًا مما يحمله؛ ينظر إليّ بعينيه السوداوين وهو يحملقُ في هذا الأشعث الأغبر؛ نظرات الرعب قد تغلغلتْ في نفسه؛ تذكر كلام أبيه ألّا يتحدث إلى الغرباء؛ لكنّني لم أكن من الغرباء، بل جائعٌ أبحث عما يسد الرَّمَقَ فقط؛ لقد أفزعه المنظرُ خاطفًا رغيفًا من الخبز من بين يديه منطلقًا؛ الصُّراخ تصاعد من الطفل الذي جلس على الأرض يندب حظه العَسِر!

الأرغفة تناثرت علي الطريق المُتَرّب؛ البكاء قد وصل إلى أسماع الخطوط المتراصّة؛ تخلُّوا عن أدوارهم والصيحات قد ألهبت أسماعي؛ الركض قد كان علي أشدّه؛ لم أتجاوز بضعة أمتارٍ حتي سقطتُ؛ لم أَقْوَ علي الصمود؛ كان الوقوع على الأرض مع هذه المعدة والأمعاء الخاوية حجرًا قد سقط في بئر خاوية؛ تعددت الروايات من خاطف الأطفال واللصّ الذي يبحث في الزحام عن الجيوب المتخمة بالأوراق النقدية!

زاد في الروايات رؤيتهم لي في عدة أماكن بحثًا عن ضحاياه؛ الركلُ كان على أشده وأنا أنظرُ في امتعاضٍ وحُنْقٍ على هذه الوجوه التي خلت من الفهم والإحساس بالجوع!

خلقنا (الله) حُفاةً عُراةً ولكن لم يخلقنا جوعى! لم تصل إليهم؛ حتى غلبني الضحك مع الركل الذي طال كل جزءٍ في جسدي المهترئ من قلة الزاد؛ والطفل الذي أخذ ينظر إليّ في سرورٍ بعد أن قاموا بمسح دموعه والاطمئنان علي الأرغفة التي جُمعت بعد تناثرها؛ عَلت الضحكات مع الركل المستمر ورؤيتي الذي يجمع الخبز علي عربة الكراء ويلقي بها إلي الحظيرة المجاورة للفرن الآلي؛ أنظر إلي هذا الماعز الذي أخذ يمضغ قطع الخبز الطازجة في تلذُّذ واضحٍ ناظرًا إليّ في تحدٍّ وتشفٍّ إنها جمهوريتي لا تجرؤ أن تكون واحدًا منها!

جريرتي الجوع وعقابي الموت ركلًا؛ في اليوم التالي خرجت جنازٌ مهيبة؛ من ورائها جمهور غفير من المشيعين يشهدون علي من مات حسرةً وجوعًا في جمهورية الماعز!

موتٌ أَوشك على الرّحيل

نيفين صلاح الغول – فلسطين

هل حقًا هناك موتٌ يأتي بترتيب مسبقٍ!

كيف يمكن أن يوشك على الفناء، وهو قدرٌ يقتنصنا بغتةً، لا إيلام في الموت، هو طلقة قنصٍ لا تخطئ!

في طريق اللاعودة وجدتني أدندنُ الترانيم وأعزف الألحان على أَوتار وجعي، كان الجوّ أرجوانيًا جميلًا رائقًا، والأشجار تتراقص برفقة سيمفونية رقراقة، السماء صافية بلا غيوم سوداء، بداياتُ الربيع مصحوبةٌ بزقزقة العصافير المداعبة لخد الصباح.

كنت أداعبُ الحصى بطرف قدمي اليمنى وأتمايلُ ذات اليمين وذات الشمال، وَحْدي كنت عالمي، فقط أنا دون أحدٍ، لا أحد يكترث لأمري رغم ازدحام شوارعي التي أدمنتها كلما مررت بها، لم يكن هناك قيمة لتعداد المارين يومها، الطبيعة بكل جمالها اليوم تعبث جاهدةً كي تجذبني لها أشعُرُ بذلك حقًّا، وكأنَّها تخبرني أنني ما زلت هنا على قيدها، تنفست الصعداء حينما وفي أعماقي داعبتُ كلَّ الخيالات التي دفنتها خوفًا وطمعا بالموت، لكن سرعان ما مَسَحْتُ البسمة عن ثغري!

لم أُخلق هكذا هم لوّنوني بالأسود وليس بأي أسود إنه القاتم المعتم الداكن لأكثر من اللزوم، أكملت المسير بطريقي المعوجّة أو بالأحرى غير الواضحة المعالم، المبهمة، المجهولة، الضالّة لا أدري فأنا هائمةٌ بالطرقات كنت هكذا وما زلت.

تَمْتَمْتُ بين ثنايا عقلي متسائلة: "هل أنا أنا دون رتوش جديدةٍ أو أصباغٍ تنزاح بمجرد هطول الواقع الحقيقي؟ إن تغيرت فمن أكون؟ وما الذي جاء بي إلى هنا؟ ولماذا اختلطت الأمور على وقد تكون بي أو فيَ العلة؟".
فجأةً ارتطمت بمجموعةٍ من الأقنعة؛ أقصد الأشخاص المجهولين، حدثتهم.. توسلت إليهم: "بربكم استمِعوا لي، لا تلوموا، لا تعتبوا، ولا تنعتوني بالحمقاء البلهاء، اتركوني كي أفرغ ما بجعبتي من كلماتٍ قبل أن يأتي الخرس النهائي ليخرسني!".

أنا حالة ضياعٍ وصراع غير منتهٍ، أمواج الحياة تتلاطم على كاهلي والموت يرفضني والأرضُ ابتلعت أبنائي، أما العاهرون فقد التهموني بفظاظةٍ، أسترجع وجوههم وأصاب بلوعةٍ بالمعدة وضيقٍ تنفس، ذاك بأربع أرجل، والثاني يمتلك صفًّا من الأسنان المنحوتة كأنها أسنان قرشٍ، والثالث لديه رأس بحجم ثمرة قرعٍ ناضجة أما طولُه كأنه ناطحة سحابٍ، وغيره الكثير ..اللعنة!
الطبيعةُ تتدخّل وتصفعني..بحفنةٍ من التراب تنهرني

- "أما سئمتِ من هذا السواد وهذه القصة غير المنتهية، ألم تقطعي وعدًا بأنك ستترفَّعين عن الوجع؟ من قليل قد كنتِ بحالة جيدة ماذا حلّ بك؟".
- "ويحك لم توبخينني!؟".

أتوسّل تلك الأقنعة كي تتجاهلها وتنصت لي أحاول إقناعهم بأنها لا تتفوَّهُ بشيءٍ مفيدٍ، فقط تلوذ بالصمت إزاء كلِّ الأمور، أتدرون لو تكلمتُ منذ البداية ما حلّ بي ما حلَ، لكنّها ترفعت عن الدفاع عني!!

سأعتصر ما بجُمجمتي من أحداث وأخبر ذاك القلق فيكم ألا يقلق!

الجميع يشبهونكم يجلسون ويبتَسِمون بالبداية ويُشيرون بأيديهم كي أروي لهم قِصَّتي غير أنهم عند منتصف الحديث ودون إنذارٍ يهمون بالرحيل وأبقى وحدي لكن بربكم ماذا ستخسرون إن استمعتم..ها ماذا؟ أعتذر لقد أطلتُ بالمقدمة وأنتم بارعون في الاستماع المزيَّف والملل!

أولًا: أنا أشعر بجسدٍ غير جسدي يهد أركاني، يحتلّني، يغتصبُ ذاكرتي، يطال كل الذكريات المؤلمة وينقضها كمن ينقض غزله، وأشعر بأن هناك دمًا نتنًا يختزل دمي، وقلبًا مزيفًا يستوطن عمق القلب، أشعر بشخصٍ يضع كفيه على شفتيَ يسكتني بالقوة، ستقولون ما هذه السذاجة؟ أنا بِغِنى عن دموعكم وعن كلمات المواساة تلك وبِغِنى عن نظرات الاستحسان والشفقة، لست بضعيفةٍ، أقوى منكم أنا؛ فقط خُذلت وانتهكت!

هم أسقطوا أبنائي من أحشائي بلا رحمةٍ، اغتصبوا ثقافةَ جسدي وتراثه، ومزّقوا ثيابي، ثم غرسوا حوافرهم بين نهديَ، ليكون مهبط طيران خَرِبٍ، لمن هبّ وَدَبّ، من خفافيش الرغبة المتوحشة، تركوا الدماء تنهمر دون رأفةٍ بحالي، لم يكن بكائي شفيعًا لي ولا شلال دمي المنساب، أخذ يرسم طريقه على الأرض في خطوط غير منتهيةٍ، أسقطوا أبنائي وسقطت معهم..أيّ لعنةٍ تلك التي حلت بي!

- "أجزم بأنك ستموتين وأنتِ تروين هذه القصة، أما سئمتِ؟ أتدرين طالما حييت سأضع كفي على فمِك كي تكفي عن هذا الهراء".

- "هراء، شكرًا أيتها الطبيعة بكلِّ الوجع المنغرز في خاصرتي.

لو سمحتم تناسوا أمرَ الطبيعة دعونا نرجع لنقطة الوقوف..آه تذكرت..يومها يا رفاق كنت كجرادٍ مدعوسٍ ملقى على الأرض غارقًا بدمائه، حاولَ الهروب غيرَ أن الفرصة لم تسنح له بالفرار تقلَّصَ على نفسه واحتضن بقاياه بلا أيدٍ أخد يبكي بلا دموع ويصرخ بلا صوتٍ ويشهق بلا فمٍ، لا أحد غيره وغير دمه الحارّ المترامي بالأرجاء، تقلَّصَ على بعض ورضخ لما حل به! أنا والأرض وأبنائي والعاهرون متلازمون، كعملية البناءِ الضوئيّ، يدخل أكلي يفتّت لحمي ويعتصرُ جسدي، يملأ المكان بي تساعده الأرض التي لطالما استغربت حيالها أن الذي خلقت من ترابها كيف سمحت لهم بأن يتخذوا منها سريرًا لافتراشي كيف..اللعنة .. ثم أسقط ويُسقطوا أبنائي وهكذا.. المشهد مكرَّرٌ وأحد أطفالي -أقصد من عاش منهم في زمن كثر به الموت-، طفلي ذاك لا يعرف للمهانة عنوانًا، بالأحرى هو الأقوى بين إخوته؛ لأن الموت لم يتمكن منه بعد، في عالمي الموت للجبناء فقط..سيأتي يومٌ وستعلمون بأنني أقول الصواب، كان طفلي في كل مرة أبكي بها يأتي ويُرَبِّتُ على كتفي قائلا: "فلتبكي يا أمي، مارسي ضعفك بين بعضك، أمّا في العلن كوني الأقوى!".

هذا القلب الصغير مصدر قوةٍ وسندٍ دائم، فمن بعد كلماته لم أبك قط، ليلتها شعُرت بالموت، كان يزورني ويقترب جدًّا وجدًّا!

ابتسمتُ وقهقهتُ وانتشيت، أي روعة تلك! لقد حان دوري وأخيرًا رحبت به ومددت يدي بالإشارة كي يجلسَ على الأريكة الوحيدة الموجودة بمنزلي بعدما أزلت الغبار عنها، رفض الجلوسَ ونظر إلي نظرة اشمئزاز، لا يهم لا أشعر بالحُنْق؛ الأمر عابرٌ والنظرة متوقَّعة، المهم الآن أن يلتهمني ويستقبلني..على حين غِرَّةٍ تدخلت الطبيعةُ بأنفها الكبير كالعادة قائلة للموت: "لم تستعجل

أمرها؛ اتركها قليلًا لم ينتهِ دورها وحكايتها لم تنتهِ بعد، لم يَنْبِسْ الموت ولم يحرك ساكنًا، بكل سهولة ركلني إليها، زفرني بعدما شهقنِي..النرجسي الذي يبغضه الجميع ولا أحد يتمناه يوم تمنيته رفضني؛ سُحْقًا.. حتى بالموت أمري معكوس وفرحتي غيرُ مكتملة، بعدما فتح فمَهُ على مصراعيه لاستقبالي رفضني، كان من المفترض أن أتوقّع ذلك من نظرته المستحقرة لي، ليته اكتفى بذلك غير أنّه ركلني للطبيعة التي تلقفتني وتلاعبت بي بقدميها ككرة قدمٍ بالية جعلتني أشعر بدوار ووجع غير كل أنواع الوجع التي حَلَّتْ على جسدي، غنّيت، بكيْت، صرختُ بصوت مسموع وكأنني لم أفعلْها من قبل، صغيري لم يُرَبِّتُ على كتفي ولم يحتضنني ليلتها. همس قائلا: "ألم تكتفي بمن نهشوا جسدك يا أمي!".

تأملت عينيه وأنا أشعر بضعفٍ لم يسبق أن مَرَّ علي، صدقني يا صغيري هو الملاذُ الأخير وبه تكمن الراحة الأبدية!".

- "بين التراب لا يوجد راحة، يبدو أنك نسيتِ أمرَ أخي، ألم يخبرك بأنه متعبٌ وهو تحت التراب، أنسيت يا أمي؟ فالراحة لم تخلق لنا، نحن لا أحد، كي يهتموا بأمرنا، لا ننتمي لأحد بل وحدَه الضياع من ينتمي لنا، منسيون وبنا العزاء البارد يا أمي. لسنا بجياعٍ للخبز كما يعتقدون، نحن وهم جياعٌ للحق للكلمة نحن جياع للأرض قبل أي شيء!".

- "من أين لك هذا الحق؟ اصمت والّا قتلوك، الأرض أصبحت أرضهم ونحن لا قيمة فقط غثاء".

- "أفضّل الموت علي السكوت".

_ "لم تدفعني للهروب، لم تزيد من حنقي، أتركني لأرحل عَلِّي أجد قبرًا يشفق عليّ ويحتويني".

كان الهروب منه طريقي الوحيد، تركتُه ومضيت وحدي، بقطعة قماشٍ بالية أزلت الغبار والتراب والدماء عن جسدي وأكملت المسير..

في طريقي اتّكأت على جدارٍ مهترئٍ متعفن، شبت ريح رعناء بالمكان، صفعت عينيّ وأسقطت دموعي رغمًا عني أو ربّما بإرادتي، تراءى لي أنني سأكمل المسير غير أن جسدي هشٌّ ضعيف وأقدامي خائرة القوى وليس بيدي حيلة. كلمات صغيري وحدها من تَعُجُّ داخلي (حتى الموت لم يكن لنا شفيعًا يا أمي) بكيتُ وتعبت إلى أن استسلمت لرسول النوم، غفوت بجوار الجدار والكلمات نفسها بمنامي راودتني الكوابيس حتى بزغ الفجر ووصلت هنا. وها أنا أمامكم أتحدث معكم، يبدو أنني ما زلت على قيد الحياة أو أنها بالأصح ترفض تسليم جثتي، لن أخبركم بالمزيد، قلت لكم دموعكم لن تغير شيئًا؛ امسحوها عن وجناتكم، أنا بِغِنى عن نظرات الشفقة، بِغِنى عن كل شيءٍ، فقط اتركوني بسلام بلا استجوابات.

ما أعلمُه الأن أنني لم أعد هناك ولم أعد أحدًا، ما أعلمه أنني مجموعة عظامٍ متآكلة تنتقل من مكان لمكان انتهت قبل نهايتها!!

المنفيونَ إلى جوار السحابِ

عبد الجليل العباسي - المغرب

في هذا الصباحِ، أجلس على كرسيٍ، كُسِرَتْ قائمتان من قوائمه الأربع ورُبطتا بالحبالِ، يُوشِكُ الكرسيُّ أَنْ يهْوي بي أرْضا لَوْلا أنْ تَدَارَكَتْهُ رحْمةُ الجدارِ الخلفيِ للقاعةِ الدراسيةِ الذي أسْنَدَهُ، أنْظرُ إلى السَّقْفِ وَقَدْ نُزِعَتْ بعْضُ ألواحِهِ الخشبيةِ وأزْرَتِ الأمْطارُ والثلوجُ بالبقيةِ الباقية منْها، وَأُجيل نظري بين الجدرانِ المتّسخة كثياب التلاميذ، وأرضيته الملأى بالحفر وطاولاته المكسّرة وكأنّ القسم تعرّض لقصفٍ عنيف، فأتذكّر الحروب المدمّرة التي تعصف بالبلدان الأخرى: سورية والعراق واليمن وليبيا و.... لا حرب في بلادي، حمدًا لله على نعمة الأمن.

أتقدم باتجاه السبورة أتأمّل ما تَخُطُّهُ يدُ تلميذٍ في السنةِ الخامسةِ ... التلميذ لا يزال يجهل بعض أحرف الهجاء ... هل أتمالكُ أعصابي أم أشرعُ في الصراخ والهجاء؟ أكظم غيظي وأصفحُ فليس خطأَه على أية حال، إنه خطأ الجميع ... أتساءل إلى أين نمضِي بتعليمنا؟ وإلى أين يمضي بنا تعليمُنا؟!

أوجّه سؤالًا إلى تلاميذ السنة السادسة فيعجزون ويجيبُ تلميذٌ من السنة الثالثة يدعى "كمال"، فأنا أدرّس قسمًا من أربعة مستويات ... أثني على "كمال" وأسألُه عن حال والده الذي نطحَهُ ثورٌ قبل يومين واستغرق

نقله إلى أقرب مستشفى يومًا كاملًا، فالطريق وعرٌ ووسائل النقل نادرةٌ، فيخبرني التلميذ بأن والده عاد إلى المنزل وأنه بخير.

لا تجد أصواتُ فتياتٍ يافعاتٍ في الخارج صعوبةً في اقتحام القسم من زجاج النوافذ المكسور، صوتُ إحداهن مألوفٌ، إنها "ليلى"أخت "كمال"التي اعتادت المجيء إلى جوار القسم الآخر لعلها تظفر بتحيةٍ أو ببعض الكلام من زميلي الذي حسبته "قيسًا"فأشاعت في صُوَيْحِبَاتِهَا أَنَّهُ الحَبيبُ الذي سيُخرجُها من ظلمات الجبالِ إلى أنوارِ السهلِ، فبلوغ السهل أو"أَزَغَارْ"كما يسمونَهُ باللسانِ الأمازيغي هو حلمُ كل شابٍ وفتاةٍ في هذه الجبال... بلوغ القمة هنا ليس حلما لأحد.

أطلبُ من التلاميذ ذكر أسماء دولٍ يعرفونها... فيذكر أغلبهم أسماء القرى المجاورة ... والأذكياءُ منهم يذكرون أسماء المدن المغربية وأكثرها ذكرًا على ألسنهم "مراكش"التي يسميها أغلبهم "أزغار"وكأنَّ هذه المدينة تختزل سهول الدنيا ... ولا غرابة فغالبيتُهم لم يَرَوْا مدينة قطّ وأبعد نقطة وطِأَتها أقدامُهم هي القريةُ التي يُقامُ بها السوقُ الأسبوعي كل سبت.

قُبَيْلَ العصر أعودُ إلى قِسْمي بعد الغذاء والراحة في منزلي الذي لا يفصلُهُ عن القسم إلا هذا الجدار الذي يسند الكرسي المكسور... لا عمل هذا المساء... ما أروع هذا الهدوء!... تقطع الهدوء أصوات رجال القرية، أطّلع من النافذة فأراهم يحفرون قبرًا... لمن هذا القبر؟ أُسَرُ القرية تعدّ على رؤوس الأصابع ... أهل القرية أعرفهم فردًا فردًا بعدة أسفار التوراة أو يزيدون قليلًا ... قبل أيام حفروا قبر رضيعٍ تُوُفِّيَ بعد أن تم إعذاره في البيت... من الميْتُ اليوم؟ يتعالى من المسجد صوت تسجيل قرآنيّ ... أهرع إلى القسم

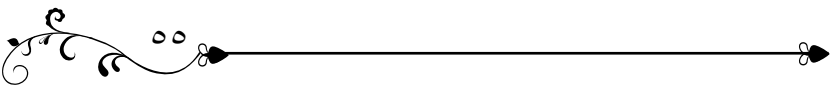

المجاور فيخبرني الأستاذ بأن "محمدًا" والد "ليلى" و "كمال"لفظ النفسَ الأخير قبل ساعتين أو ثلاث، صَدَمَني خبر الموت المفاجئ، كيف وقد أخبرني ابنه قبل ساعات أنه غدا بخير، تفكّرت في الموت، ما أقصر الحياة! ... في يتم الأبناء ... في آمال الفتاة، هل يحقّقُ الفارس أحلامها؟ ... تزاحمتْ الأفكار في رأسي ... الحبُّ والموتُ هما -وهما فقط- اللذان يعجزان فكرَوعبارةَ كل كاتب وفيلسوف وشاعر ... أعود إلى القاعةِ لأجلس على الكرسي... هذه المرة لا تتداركه رحمةُ الجدارِ!

عشوائِيّة (زهرةُ العشوائيّات)

رباب خليل - مصر

المنطقةُ العشوائية هي منطقةٌ سكنيةٌ غير منظّمة بنيت في الغالب بدون ترخيص وقد تفتقرُ لأبسط مقومات الحياة الكريمة. كما تسمى في مصر "إسكان العشش".

وفي كل مكان في العالم يوجد ما يسمى بالعشوائيّات، وسكان هذه العشوائيات صوّرتهم السينما والروايات كثيرًا ولكنها أظهرت صورةً غير حقيقيةٍ ظالمةً كثيرا لأهل هذه العشوائيات ولذلك فبطلةُ قصتي عشوائية من سكان العشوائيات.. تعالوا لنرى حكايتها فهي حكاية غير تقليديةٍ صورةٍ مختلفةٍ كما أراها أنا بقلمي..

فى واحدة من العشوائيات كانت نشأة (زهرة) على هامش الحياة، مجتمع آخر لا يعيش حياةً آدمية له قوانينه التي تحكمه، وإحقاقًا للحق هذا العالم مَجْنٍ عليه مهما طالنا منه من أذى! ..

ذلك لأنّنا أسقطناه من حساباتنا؛ إنها حياةٌ مهما حاولنا تخيّلها لن نصل إلى بشاعة واقعها؛ هم أناس راضون بحياتهم، وحتى أبسط أحلامهم وهو إلحاق

أطفالهم بالمدارس الحكومية يعتبر من الكماليات و (زهرة) كانت من الأطفال الذين التحقوا بمدرسة الحكومة؛ فزهرة ابنة (متولي) التَّبَّاع و (كريمة) بائعة الخضار!

وهى طفلةٌ مثل بقية الأطفال كانت تحلُم بأن ترتدي فستان وحذاءً جديدًا في العيد، ولكنها تستيقظُ على الواقع القاتل فهي ترتدي ملابس مرقّعة وحذاء ممزقًا كحالها فتستيقظُ لتذهب إلى المدرسة ولكنّها لن تذهب إلا بشرط هو أن تعمل؛ فتعمل ببيع المناديل وتعطي (متولي) المال، فكان عليها أن تقاتل لتنجوَ من هذا المستنقع وتتحرّر من أسر واقعٍ مرعبٍ سيقضي عليها إن لم تقاومه! ... كان عليها أن تتعلم لأنها أدركت أن نجاتها في التعليم ، وكانت تقول لوالديها: "سأصبح مدرّسة ووقتها سأنقذكم من هنا وسنعيش مثل الناس" ..

هذه الجملة لخّصت حلم (زهرة) أن تعيش مثل الناس لأنّها فعلًا لا تعيش مثل الناس وإنّما تعيش مثل الحيوان إن لم يكن الحيوان أحسن منها حالًا وبعد مرور سنوات لم يتغيّر شيءٌ سوى أن (زهرة) وصلتْ للمرحلة الثانوية وكما كانت منذ صغرها تعمل، ظَلَّتْ على هذا الحال فكانت تعمل كبائعة في المحلات!

وكانت تريد أن تكمل مشوارها ولكن الأب وبيئتها لم يتقبّلا فكرة المعلمة تلك فأراد والدُها أن يزوّجها من هجّامٍ يُدعى (فتحي) فردت (زهرة) قائلةً: "يابا حرام عليك؛ أنا قطعت مشوار طويل وخلاص هانت! إنت هتجوّزني هجّام؟!".

فأجابها: "اخرسي! مفيش كلّية، وهتتجوّزي (فتحي) وكتب كتابك بعد أسبوع خلص الكلام!".

هكذا وبمنتهى البساطة ينتهي كلّ شيء؟ فالموت أهون من هذه الحياةِ البائسة!

وبعد مرور أسبوع.. في بيت (زهرة) يجهّزون العروس لفرحها.. الجميع في سعادة إلا العروس كأنّها تمثالٌ خشبيّ بلا روح!!

الأم: "يا الله يا بنتي؛ استهدي بالله، قومي معايا ألبّسك".

نهضت مع والدتِها وكأنها تساقُ إلى الموت ثم استسلمت في سكون.. وَدَعَتْ (الله) بقلب مقهورٍ أن يخلصها من هذا المصير.. وضع الأب يده في يد الزوج المنتَظَروقبل أن يقول المأذون: بسم الله و.. .....

فوجئ الجميعُ بسيارة شرطة تقفُ أمامهم ليأخذوا الهجام فتحي؛ ينزل منها ضابط: فتحي:.
"في ايه يا باشا؟".

متولي والمعازيم: "ليه كدا بس ده فرح بنتي؛ حرام يا باشا ضيّعت فرحتنا".
الضابط لمتولي: "احمد ربنا أنّ الفرح مَتَمِّش؛ بنتك جوّزها واحد يستاهلها؛ مش تجوزها لهجّام مسجَّل؟".

obeikandl.com

(زهرة) حمدت (الله) الذي أنقذها من هذا المصير، واستجاب دعاءها!
وأصرّت (زهرة) أن تكمل دراستَها في الجامعة، وتعهّدت لأسرتِها بأنّها لن تكلِّفهم قرشًا وأنّها ستساعدهم في المعيشة، وبعد جدالٍ طال وافق الأب!
وفي أوّل يومٍ في الجامعة صدمتها مظاهرُ الحياة؛ فمجتمع الجامعة والمظاهر الاجتماعية تفوق تخيُّلَها وهي كل ما ترتديه تيشرت عادي جدًّا، وجيب جينز عادية بسيطة، وصندل مفتوح واضح انه ليس جديدًا!
فنظرتْ لنفسِها ولمن حولها من زملائها الذين ينظرون إليها بنظرات مستهزئة؛ فتأثّرت وشعرت بالنقص ثم غادرت إلى عملِها بعد الكلّية!

ثمّ عادتْ إلى منزلِها وجلستْ تفكّر في حل ربّما يريحها من تطفّلات زملائها ولكنّه حلّق صعبٌ جدًّا على نفسها؛ ماذا ستفعلُ فالمجتمع لا يرحم الفقير؟
فقرَّرَتْ أن تتغيّب عن الكلية واشترتْ ثوبًا أسودَ جديدًا ثم ذهبت للكلية مرتديةً إياه وعندما سألها زملاؤها أجابتهم بأنّ والدَها توفّي!
كانت مجبرةً لأنّ عيون الناس لا ترحم فقرَها كما أنّها أخفت عن زملائها أنها من سكان العشوائيات..

أخفت حقيقتَها خوفًا من نظرة المجتمع ولذلك أغلقتْ كلَّ الأبواب التي تؤدي إليها إلى أن تعرّفتْ على (محمود) وهو زميل لها، وكانت فى السنة الأخيرة وقد عانت ما عانت لتصل لحُلمها في النهاية، وفي أحد الأيّام صارحها بحبِّه لها وبأنّه يريدُ الارتباط بها..

فتركتهُ وذهبت مسرعةً وهي تبكي قلبَها المذبوح.. لكنّ (محمود) قرّر أن يكتشف أسرارها الغامضة..

فَتَتَبَّعَها وصُدِمَ مما رآه؛ فهو لم يكن يتخيّلُ أنّ هناك حياة كهذه في الواقع وكيف استطاعت (زهرة) أن تخدع الجميع كلَّ تلك الفترة!؟

في يوم التخرّج استوقفها (محمود) قائلًا: "أنا عرفت كلّ حاجة! ليه كدبتِ علينا؟".
فأجابته في صدمة: "أنا كدبت عشان أحمي نفسي من كلامك ده"!

وتركته وغادرت باكيةً..

جلس مع نفسه فوجدها محقة؛ لو كان هو مكانَها لفعل مثلها ثم إنها أرادت أن تنجوَ من مستنقع سقطتْ فيه آلاف الفتيات أن تكون إنسانة ونجحت. ثم لحق بها فاعتذر منها وطلبها للزواج؛ فوافقت وكانت سعيدة بنجاحها وبحبها!"..
فليس كل سكان العشوائيات بلطجية.. هناك أناس صالحون.. هناك الكثيرون والكثيرات مثل (زهرة العشوائيات).

obeikandi.com

نيوروتون

نورا عبدالعزيز - مصر

"لو سمحتِ يا دكتورة، فكّة ٢٠٠ جنيه ".
قالها مادًا يدَه بورقة من فئة المائتي جنيه نحوي..
ألم يراني! أم غضّ الطرف عني؟!
كنتُ غارقةً في دمائي، تسيل من رأسي حتى أخمص قدمي:
"هو حضرتك ما بتشوفش، هو البعيد أعمى؟! " حدثتُ نفسي بتلك الكلمات؛
لم يحرّك الرجل ساكنًا ورحل مسرعًا.. يبدو أنّه كان في عجلة من أمره إلى أقدارالله.. وقفتُ وحدي أضرج بدمائي ..
تشوّهاتٌ جسديةٌ مزّقتني أعقبتها تشوهاتٌ روحيةٌ أزهقتني ..
ففي فترةِ الظهيرة دخل الصيدلية رجلٌ مسكين أو هكذا خُيّل لي!
ترتعش أطرافه، يبدو أنّه يعاني من مرض "باركنسون" الذي غالبًا ما يصاب به الناس علي كبر..
"هاتي يا بنتي شريط "نيوروتون" قالها بصوت مرتعش جدًّا ..
ذهبت إلى أرفف الڤيتامينات لأبحث عن هذا ال "نيوروتون "
لم أجده للأسف ..
"مش موجود والله يا حاج، ناقص" تعمّدت أن أرفع صوتي بالكلمات تلك ..
أعلم أن كبارالسن دومًا ما يصابون بالأمراض وتضعف حواسهم الخمس..
تقوى حاجتُهم إلي كل شيءٍ وكأن أجسادَهم تسلم يدها للرحيل ..

"يعني ايه ناقص! اتصرفيلي في شريط يا بنتي، أنا أعصابي ضعيفة ومقدرش أستغني عنه".

"أنا آسفة والله يا حاج يا ريته بإيدينا!".

رمقني الرجل بنظرةِ استعطاف ثم فجأةً قلبها نظرة غضب جليّ..

"ده أنا زبون الصيدلية يا بنتي وباخد كل علاجي من هنا"..

لم يعلم ذاك الرجل أن تكرار الكلمات هو سبب أوحد كافٍ لجعل نوبة الانهيار العصبي تأتيني مهرولةً! تمالكتُ أعصابي قائلةً بابتسامة عريضة: "لو موجود أنت أول واحد هديهولك يا حاج والله"..

"حسبي الله ونعم الوكيل، يا عالم يا مفترية، ده احنا غلابة وملناش حد، منك لله يا شيخة"..

ما كان يدري أن أكثر ما يجن جنوني هو الظلم!

الظلم يحوّلني من حمل وديع إلى وحشٍ كاسر..

عندما كنت صغيرة كان أبي يظلمني بالكلام فأبكي .. وأمّي تضربني فأبكي ..

البكاءُ مريح جدًّا، يغسل القلب من الظلم!

كبُرت .. فازداد العالم ظلمًا .. وازداد الظالمين افتراءً..

ما عاد البكاء يجدي نفعًا في عالم الكبار..

فيشاء الله –سبحانه- أن أصابَ بالانهيار العصبي بعد خيبة أملٍ كبرى، بعد انكسار قلبي الصغير..

آهٍ يا صغيري، كُسِرت قبل أن تلتئم جروحك القديمة!

ذات صيفٍ منذ خمسة أعوام، بعد التحاقي بكلية الطبّ، ذهبت لاستطلع نتيجة عامي الأول ..

وخمّنت ووضعت احتمالين لا ثالث لهما إما إمتياز وإما جيدا جدًّا، بالطبع لن أرتضي بالأقل.. فأنا "صفية محمد حسنين الحصري" الأولى علي الثانوية العامة على مستوى الجمهورية ..

الطابور في الجامعة طويل جدًّا والشمس محرقة جدًّا جدًّا ..

بعد عناء مع تلك المحبطات وصلت ..

أبحث عن اسمي "صاد ، صاد ، صابر، صابرين ، صفية. أهي" قلتُها فرحةً..

ما كنت أحسب أن الفرحة يمكن أن تحَال صدمةً في لحظةٍ واحدةٍ!

رااااسبة في جميع المواد!! هكذا قرأت عيناي!

بلا إرادة مني ظللتُ أصرخ لمدة ثلاثون دقيقة متواصلة!! عيناي تنهمر منهما الدموع كبحر خلق توًّا..

تجمّع الطالبات والطلبة، منهم من احتضنني ومنهم من أحضر مياه باردةً للشرب وكل ساعد بما استطاع .. ما خفّف ذلك من إحساسي بالظلم اللامنتهي..

حملوني إلي مستشفي الطلبة .. شخّص الطبيب حالتي "انهيار عصبي"!

منذ تلك اللحظة وانهالت الخيبات تلو الأخرى مع كل خيبةٍ نوبة انهيار عصبي أشد مما قبلها!

فراق الأحبة، موت عمتي، موت جدّتي، حرقُ جثث أصدقائي في نوبة ظلم فاجرةٍ! الكثير من خيبات الأمل بطعم الظلم ..

الرجل لا يزال يقف في الصيدلية يدعو الله عليّ في ظلمٍ بيّن بجسدٍ مرتعشٍ!

يذكّرني بنفسي في لحظات الانهيار..

بدت عليه علامات التهوّر، وضع يده في جيبه، ثم .. ثم ..

لا أتذكر جيدًا سوىٰ مشرط ويد تمزّق بلا هوادة، حتى أن أرضَ الصيدلية قد غطتها الدماء !

"فكة ٢٠٠ جنيه يا دكتورة لو سمحتي ؟" قالها ذاك الرجل الغريب ...

شعرتُ أن الزمن قد توقف، أو أنّ هذه الكلمات مكررة! لحظة انعدمت فيها الجاذبية تقريبا! وقبل أن أجيبَه رحل أيضًا مسرعًا!

ما ذنبي أنا إن لم تتوافر بعض أصناف الأدوية، لِمَ أتحمل المسؤولية وحدي؟!

غبيّ ذاك الرجل عندما صب جام غضبه عليّ وانهال ضربا باليمين علي جسدي الضعيف..

بشيءٍ ما يشبه مشرط العمليات شوّه وجهي البريء ..

لكن مهلًا! لِمَ يدخل الناس ويخرجون دون أن يلحظوا هولَ ما أنا فيه؟!

كمظلومة لعنتُ الإنسانية التي اندثرت الآن كاندثار حضارة الأندلس ..

استفاقتْ أذناي على صوت يشبه .. "سرينة الشرطة"!

زادني الصوت فرحًا، لابد أنهم قبضوا على المعتدي.. أخيرا سيطبّق القانون في بلاد اللاقوانين .. دخلوا الصيدلية، وجدوني بابتسامة تزيّن محياي ..

"من غير مقاومة يا بِتّ، يلّا معانا، وأنت يا حضرة المأمور غطِّي الجثة واستني هنا؛ دكاترة الطب الشرعي في الطريق، كَلْبِشْها يا عسكري"!

بدأتُ بالصراخ .. "حرام عليكم، فين العدل! أنا اللي اتهدلت، أنا المجني عليها، أنا اللي غرقانة ف دّمي، يا ناس حرام اللي بيحصلي ده والله، حراااااام"!

بصوتٍ مرتفع الحدة والشدة "قولتلك كلبشها يا عسكري"!

وسط جمهرة الأهالي والصراخ والعويل، ساقوني كما تُساق الأنعام إلى عربة الشرطة... وضعوني في "بوكس الشرطة" بدفعة قوية من الضابط بلا أدني سبب.. رمقتُه بنظرة حقدٍ .. "ما تلمسنيش، أنا رايحة بمزاجي واللي المفروض يتحاسب لسه ما قبضتوش عليه ..

"للأسف افتكرت أن ممكن البلد دي حالها يتعدل" .. تحدثتُ بثقةٍ بالغةٍ وأنا أنهار من الداخل ..

أقعدوني وعن يميني عسكري بزيّه الأسود المعتاد وآخر عن يساري أيضًا .. ربما كانت ترمز ألوان ملابسهم إلى مستقبلي!

من مسجدٍ على مقربة من ذاك "بوكس الشرطة".. وبجانب الصيدلية لمحت نعشًا! لمن يا ترى؟!

لم أسمع الميكروفون ينادي على أحد اليوم.. النعش خرج وحوله الناس..

مهلًا .. ما هذا الذي فِي جيبي؟! "مشرط العمليات؟!"

ماذا يفعل في جيبي؟!

مهلًا .. وجهي .. لا آثارَ لتشوهات!

يداي .. جسدي .. ملابسي .. لا آثارَ لدماء!

مهلًا .. لم آخذ جرعة علاجي اليوم! لم آخذ ال "نيوروتون"!

حتمًا سأصاب بانهيار عصبيّ ..هل حدث فعلا ؟!

أنا القاتلة .. ؟!

خرج النعش يحمله الأهالي ..

صار "البوكس" يحملني كقاتلة إلى مصير قاتل ...

بدأ النعش يصغر شيئًا فشيئًا حتي اختفى..

ضربوا المدير وأسعدوا الموظّفين

أحلام يحيى جحاف - اليمن – صنعاء

حدثَ أمرٌ عجيبٌ في إدارة الشؤون المالية بوزارة التربيةِ والتعليم في ذلك الصباح أمام الموظّفين؛ قام ثلاثة أشخاصٍ بضرب مدير الحسابات! كانت الجدران الفاصلة بين المكاتب زجاجيةً، وهكذا شاهد الموظفون مدير الحسابات وهو يتلقى الضّربات.

لقد كانت مشادةً كلاميّةً تبعها صفعةٌ قويةٌ من كفّ أحد الأشخاص الثلاثة على وجه المدير، أحد الأشخاص الثلاثة هو شيخ (شيخ قبيلة) ويتحرّك مع معاونيه أو حرسه الخاص، لم تكن الصفعة هي الوحيدة ولكن تلتها ضربات ولكمات في كلِّ أنحاء جسد المدير إضافة إلى ضربات بأعقابِ الأسلحة الرشاشة.

لم يجرؤ أحد على التدخّل. انتهى مشهدُ الضرب بالتهديد بالسلاح، ثم انسحب الثلاثة دون أن يعترضَهم أحدٌ وسط دهشة الجميع. تدافع الموظفون إلى مكتب المديرِ لمساعدتِه على النهوض مع التلفُّظ بعبارات الاستنكار والغضب والسب للفاعلين، حاولوا بالطبع إظهارَ الحزن والتأثّر وإخفاء علامات الفرحِ والسعادة والتشفّي لما حدث للمدير المضروب.

خرجَ الجميع من مكاتبهم احتجاجًا وتضامنًا مع المدير وتمَّ إبلاغ رجال الأمن ورفع الموضوع لنائب الوزير!

obeikandl.com

من لم يشهد الحادثة، يتبرعُ بعض الموظفين لقصّ ما حدث عليه، سأل أحدهم باستنكار:

- "لماذا جميعُ الموظفين يشعرون بالسعادة لتعرض المدير للضرب؟".

ابتسم آخر متطوعًا بالإجابة:

- "كنا ننتظر هذا اليوم، المدير يستاهل ما جرى له، إنّه يتعامل مع الجميع بأسلوبٍ مستفزٍّ ولم يجرؤ أحد على الاعتراض، ولكن الشيخ هذا شجاعٌ وأخذ بثأر الكثيرين ممن تعاملوا مع المدير".

مدير الحسابات يخاف منه الجميع، لا تعرف الابتسامةُ طريقَها إلى وجهه، عدا ابتسامة السخرية. يتعاملُ مع كلِّ شخصٍ على أنه متّهم حتى تظهر براءته، يشكُّ ويشكّك في كل شيء. وكل معاملةٍ ماليةٍ لا بُدّ أن تمرّ عليه للتوقيع عليها، وليس من السهل أن يوقع على أي معاملة. لابد أن يسأل ويسأل ويدقّق ويتأكد، وقد يرمي المعاملة باستخفاف، ويطلب أحيانا إعادة كتابة المعاملة لأنّ صياغتها لم تعجبه، أو لأنها تحتوي على كلمة يرى أنها غير مناسبة، أو لأنه يشعر أن العبارات مبهمة.

ببساطةٍ لن يوقع دون أن يذهب الشخص أكثر من مرة ، البعض يتوسل ويترجى، والمدير صامدٌ لا يتزحزح ولا يتأثّر، ولا يقدر خطورة أمرٍ ما، أو حاجة ملحة لإنسان تعيسٍ أتعسه حظه ووقع بين يدي المدير المبجل!

أما الشيخ صاحب الحكاية، فقد حصل على أمرٍ خطيٍّ من وزير التربية بصرف مبلغٍ ماليٍّ كمنحةٍ علاجية، وعندما استقرت الورقة التي تحمل أمر الوزير بين يدي مدير الحسابات: رفضها رفضًا قاطعًا بحجة عدم وجود بند يسمح بصرف مبلغٍ تحت هذا المسمّى.

حاول الشيخ أن يشرح لكن المدير رفض الإصغاء!

ذهب الشيخ مع حراسه إلى نائبِ الوزير مرةً أخرى مستغربا كيف يرفض مدير الحسابات أمرًا للوزير، فكتب نائب الوزير على نفس الورقة آمرًا المدير بتنفيذ أوامر الوزير دون نقاش.

في مكتب المدير حدثتْ المشادة؛ لأن المدير أصرَّ على موقفه، فهو لا يتراجع بسهولة، فلم يجد الشيخ طريقةً إلا تأديب المدير بنفسه.

تمتّع الموظفون لأيامٍ بإجازة بحجة الإضراب احتجاجًا على الاعتداء على المدير، وهم يتندّرون ويذكرون الحادثة، ويصفون كيف تلقى المدير الصفعة الأولى والصفعات التالية، ويشرحون تفاصيل أسعدتهم وشفت غليلهم!

openlamagi.com

رُفاتُ حُلم

سامية غشير - الجزائر

هي الأرضُ الجريحة تتلذّذ بتعذيب أبنائها وترتوي من أنهار دمائِهم، قررت فجأة أن تكمل تفاصيل نهاياتهم التراجيديّة، لتخطّ على تضاريس ترابِها رسائل اللّقاء الأخير.

كان المهندس "أحمد"يعيشُ في مدينة (حلب) السّورية، مع أسرته الصّغيرة وأحبته في أمنٍ وحرّيةٍ، يتنعّم بحفيفِ أغاني الشّجر والمحراث وصوت القمر الذّي ينشد كلّ ليلة أناشيد الحُلم الفتيّ. كانت قناديلُ السّعادة تضيء حياتهم الحسناء، وكانت شموع السّلام موقَدَةً في محراب الحبّ الجميل الذّي زيّن حياته هو وزوجته الفاتنة "بلقيس"وثمرة حبّهما "سيف".

ذهب "أحمد"كعادته إلى العمل، وكانت "بلقيس"تحضّر له مفاجأة جميلة جدّا، أشعلت عبق البهجة ونثرت عطر المحبّة في بيتهما الزّمردي الذّي كان ينتشي كلّ يوم بأغاني الزّمن الجميل "اعطيني النّاي وغنّي فالغناء سرّ الوجود"لفيروز. اقتنت بعض (الشراشيف) الجديدة لتزف بيتها من جديد، نظرت إلى عقارب الزّمن فرأتها تقترب في دلعٍ جريء، انتابتها رعشةٌ قويّة ونادت مفزعة: أحمد... أحمد...وفجأة وصل أحمد قاطعا صراخَها الذّي هزّ أرجاء المكان قائلًا: "أنا هنا يا حبيبتي، أنا هنا يا مُنايا".

عادت السّعادة من جديد لتسكن عينَيْها الزرقاء التي تراءتا كبحرٍ صاخب تراقصت أمواجُه على نغمات الأصيل الشّجي.

قالت له: "حبيبي، كلّ عام وأنت بخير"!
ملأ الزّهو قلب "أحمد"النّدي وقال لها: "ظننتك نسيت تاريخ ميلادي..
قاطعته قائلةً: "مستحيل أن أنسى تاريخًا سكنت إليه يوما ما".
تقدّم نحوها "أحمد" وهو ينثر رسائل فرحِه: "كلّ عام وأنت فراشة عمري، ريحانة فؤادي، حلمي الشّذي ثمّ أنشدها قصيدة معطرة بدفءِ التوقدّ وعبق التودّد:

تسافر بنا الحياةُ إلى شواطئ حلم
فأرتاد محطّات العبور
وأقطفُ من شفتيك أغنيّة
تحملُني للأمنيات
وأبحرُ في عنفوان عينيك الشذّي
فأصيرُ شهريار الحكايات
وتمنحيني قبلةً مسائية
فأرتحلُ إلى تضاريس الغوايات

وبينما هما يستمتعان بتلك اللّحظات المتجليّة بنور العشق وتلك المشاعر الطّوفانيّة التي تدلّت تغتسل حدائق حُلمهما، فجأة تدفّق من التّلفاز صوت هارب انفجر يعبُر مواطن خلوتهما المنصهرة في ماء مفاتن اللّيالي، إنّها القيامة، إنّها الحرب. لقد اشتعلت الحرب الأهليّة وعمّت أرجاء المدينة التي وهبت جسدها لغوايات النيران والدّماء.
نظر الزّوج إلى زوجته وهو يهمس في أذنها: "لن تكون هذه نهاية قصّة حكايتنا".

obeikandl.com

كان صراخ "سيف الدّين"يملأ المكان، نظر إليه والده قائلا لزوجته: "ما ذنب هذا الولد البريء؟ ما ذنبه أن يعيش وسط كومة من الخراب والهلاك، يجب أن نلّم شتات أحلامنا ونركب قاربًا آخر قادرًا أن يمنحنا تذكرة الوصول إلى أحلامنا المطرزّة التي نسجناها على دفاتر حياتنا".

جمعت العائلة رفات ذكرياتها الجميلة والأليمة وغادرت تلك الأرض، نظروا في حيرة وشوق إلى أرضهم..

ثم مدّ "أحمد"يده إلى الأرض وأخذ يتلمّس ترابها لعلّها تمنحه حنانًا حريريًّا وتمنعه من الرّحيل، لكنّه شعر بالجفاء، نظر إليها ناثرًا على مقبرتها آخر تعاويذ عشق كتبها:

كنت عاشقًا أهرب إليك من أزمنة الفناء
يرتحل بين جغرافيتك الهَيفاء

كان يغتسلُ بقُبَل الوفاء

ويتعطّر بأزهارِ الكبرياء
كان يبحرُ في تجاويفك الضيّاء
كنت أتراقصُ كفراشة حسناء
على مقطوعاتِ الألق والوفاء
لكن فجأةً قذفتني إلى مدائن الجفاء
مواسم الزّهو غادرتني
ومرافئُ الحلم هجرتني
سأحملُ شتات روحي وبوحي
وحلم تدلّل على حروف السّناء

كانت هذه آخر رسالة "أحمد"الأخيرة: "الآن سأغادرك أيّتها الأرض العرجاء، سأغادر ضفافك الموجعة التي استعمرتني بحماقات الخيبات، لن أنكسر، لن ننكسر".

كان "سيف الدّين"صاحب السنتين من عمره ينظر إلى والديه في ذهولٍ شديدٍ ولم يفهم ما يقول والده لكن نظرات عينيه تدرك أنّه في موعد مع الرّحيل الأخير.

أرخى اللّيل سدولَه على أرجاء تلك المدينة، ومدّ كفَّه للغوايات التي كانت تُنبئُ برسائل النّهايات، ركب أحمد وعائلتُه زورقَ الحياة الجديدة بعد أن منح للبحر معاهدَ بالسّفر، ضحك البحر وارتفعت ضحكاته تملأُ المكان، وفجأةً تغيّرت ملامحه وأضحت شاحبةً حزينة، حيث احتلته التجاعيد السّمراء فكان ذلك يوحي بهشاشات الرّحيل.

تنهدّ "أحمد"بقوّة ونظر إلى السّماء وكأنّه يريد أن يغازل نجومها لآخر مرّة، كان يريد أن يسمو في الحياة إلى منعرجات الأمل والحُلم، كان يريد أن يعبر مسافات الحروف المتقدّة ليخطّ على تراتيل فؤاده قصيدة عشقه للحياة.

نظرت إليه زوجته وقالت: "لا تجزع يا "أحمد"سنعود يوما إلى هذه التضاريس الحزينة التي لطالما علمتنا دروسَ الأمل والوصال والعطاء، سنبني آخر جسور للحياة في أرضنا الغرّاء، لا تجزع ستتحسّن الأمور وتعود البهجة تغزو ضفاف سوريا الجريحة".

نام "أحمد"وهو يحتضن زوجته "بلقيس"وابنهما "سيف الدّين"وهو يحكي لهما آخر حكايات أحلامهم الزّهريّة، وهمسات الوفاء والشّذى والجوى ينثرها مرّة على مرّة، وكانت الأمواج تتراقص على نايات الوِصال، وقبل أن ينامَ تكلّم

آخر جملة "لن أنساك أيّتها الشّواطئ الحسناء، فقد منحتِني نفحات حلمي الجميل".

تسارعت السّاعات وتناحرت فيما بينها في صمتٍ طائشٍ وأعلنت السّاعة دقاتها الأخيرة، لقد وصل الزّورق إلى شواطئ "سردينيا"، لكن البحر قرّر أن يكمل آخر أطوار الحكاية، همس في جرأة شديدة: "أحببت تلك الأرواح الجميلة، كنت أغار من شلّالات الوصال المتدفقة في كبرياء والتي كانت تنفجر على جغرافيّة تلك العيون الزمرديّة".

تصاعدت الأمواج بقوّة على شواطئ ذلك البحر غاضبة جدّا معلنةً حدادها بعد أن التحفت بالأسود حزنا على فراق تلك الأرواح التي التصقت أجسادها بالأرض مردّدة آخر رسائلها:

يأخذني البحرُالأزرق
فأنام بينَ أمواجه
وزورقُ الألم يعبث بنا
في تيهِ السؤال الأخير
احملينا يا أرْض
كالوليد في شَرْنَقة الحياة
وامنحيني وَمْضًا من حلم كان
يعزفُ أوتار مواسم المطر
فالهموم الآن انجلت
والدّموع انسكبت

والقلب ما عادَ يكتحل بالسّواد
فَرَنَّةُ الموت تفجّرت على الوريد
سنغادر اليوم كطائر العنقاء
وسنتجدّد يومًا لنعيش الضّياء
بين مراتيجك الهيفاء

obeikandl.com

ضربةٌ بحجم يد

طلعت قديح - فلسطين

هاتفني مدير المجلة:

- "سهام، تعالي للمكتب".

كنت أعلمُ أن عبارته المقتضبة عادةً ما تكون مقدمة لأمر مهم.

- "سعاد، طلبني المدير".

- "طلب حضورك إليه، ولم يطلبْ يدك، هناك فرق".

- "تبا لك".

هو من النوع الرتيب، الحياة عنده معادلةٌ حسابية لا احتمالات فيها ١+١=٢ !

طرقتُ الباب، دخلت، أشار إليَّ بالجلوس، وهو يقلّب العدد الصادر من مجلتنا الاقتصادية، بحكمِ أنها متخصصة، فقرّاؤها من النخب الاقتصادية والباحثين أيضًا.

أمسك بورقةٍ، قدّمها لي:

- "هو رجل أعمالٍ، اقتصاديّ متميز، يقاربُ الخمسين من العمر، غير متزوّج، علاقاتُه في المجال الاقتصادي متشعبة، وأتمنَّى بلباقتك المعهودة أن تعملي على إقناعِه بتمويل المجلّة، نقطةٌ مهمّة أريد إعلامك بها: ليس لديه علاقات نسائية وليس وسيمًا"!

خرجت من مكتبه، متأفّفة، ليس لما قاله، بل من استرساله، دون أن يطلب مني التعقيب، أو أن يعطيني مجالا للحديث!

obeikandl.com

طلبت من السكرتارية تحديد موعدٍ للقاء الرجل الاقتصاديّ الذي لا يحب النساء، هكذا أسميته.

لم أنتظر طويلًا حتى جاء الردّ في آخر الدوام، بتحديد اللقاء مساء.

دَلَفْتُ إلى المكتب.

- "ها، مهمة جديدة؟".

- "وعقيمة!".

في مساء ذلك اليوم، رنّ هاتفي المحمول، قرأتُ اسم المدير، متأفّفة: "تبًّا لك، "سهام"لا تنسي الموعد".

هكذا هي اللقاءات مع رجال الأعمال، تبدو كأنها رحلات مكوكيةٌ، تنقلك من عالم لآخر..

توقّفَ التاكسي أمام مبنى المؤسسة الاقتصادية، ذائعة الصيت، ما إن ولجتُ بابَها الزجاجيَّ الواسع، حتى أطل موظَّفٌ أنيقٌ بلباسٍ رسميٍّ يشبه لباس الشرطة، اقترب مزهوا بقامته وعضلاته مخاطبًا إياي:

ـ "تفضلي أستاذة "سهام"!

ارتفع حاجباي تلقائيًّا، ليس لعنصر المفاجأة، بل لسرعةِ بديهته، ثمَّ من أعلمه بأنني هي؟!

توجهتُ معه للمصعد، الذي تتزاحم فيه الأرقام، ليطلبَ بضغطة زر الطابق الأخير، عالمٌ غريبٌ، ضغطة زرّ ترفعك لعشرات الأمتاروقد تصل للمئة!

لكن لماذا يختار هؤلاء الاقتصاديون الطابقَ الأخير!

هل هي رسالة بأنهم الأقوى والأجدر أو أنهم الأعلى مكانةً وقيمةً، أم هو تعبير عن نشوة الإنجاز؟!

obeikandi.com

توقّف المصعد، فأشار الشرطيّ، أقصد الموظّف المستقبل، بالتفضل لباحة الجناح الخاصّ، الذي يبدو تحفةً أنيقةً، في الديكور وتناسق الألوان، زوايا لا يفهمها سوى مهندسو الديكور، فهناك أماكنُ واسعة لإفساح المجال لأكبر مساحةٍ لنفاذ الشمس، وأخرى لتسلل الهواء، وما إلى ذلك من المميزات التي تجعل جو المبنى رائقًا.

كان لزامًا أن ننتظر عدة دقائق قبل الدخول لقاعة الاجتماع، كالعادة، تماما كمشهد في فيلم أو مسلسل، مجرد بروتوكول غبيّ.

حَيَّتْني السكرتيرة بابتسامة مشرقةٍ، رغم أننا في المساء!

- "قهوتك سادة أم ماذا؟".

ما هذا الغباء البروتوكولي، ألا يمكن أن أكون كارهةً لها مثلا، ثم لماذا القهوة؟ ألا يوجد كباتشينو أوشوكو أونسكافيه؟! لماذا نقلد الغير؟ ولا نلتفت لما نريد؟

- "سادة".

في داخلي أضفت: "تبا لك".

الغريب أن الدقائق التي كانت للانتظار، لم تكن لارتشاف القهوة التي لم تأت بعد!

رنّة جرس لثانية واحدة، فعلمت أنه الإذن المتفق عليه للدخول، وقفت، وقلت: "هيا إذن، وسط تعجب السكرتيرة".

لم يلفت نظري تلك الأناقة التي تتميز بها القاعة، أو الفخامة التي تعطي مذاقًا خاصًّا لها، كانت تلك اللوحة كبيرة الحجم، لرجلٍ أنيقٍ، ليس وسيمًا،

تبدو عليه ملامحُ الذكاء المتقد، تفاصيل اللوحة عادية، فقط تلك اليد الممدودة، و...

اللوحة ليست في مكانٍ مرتفعٍ على الحائط!

يده تكاد تكون حقيقيةً الملمس!

بدت تساورني الشكوك في أنه يراقبُ ما أفعلُ، ولأنني لا أحب التردّد كثيرًا، صافحتُ يده المرسومة في اللوحة.

كانت تلك اللحظة الفارقة، إذ جاءني صوت: "طلبك مجابٌ، تحياتي".

كان هذا أسرع اجتماع ناجح في موسوعة جينيس للأرقام القياسية، تبًّا، اجتماع بالضربة القاضية!

obeikandl.com

من الجهلِ ما قَتَل

كيرلس عاطف - مصر

يركض .. يركضُ بين البيوت متخطيًّا الجموع، يعلم انه لربما يكون الأمل الأخير في ركضه هذا..

●"لماذا فعلتم هذا؟!".

صاح بها الطبيب وهو يلهث من الركض في ميدان القرية وسط المذبحة بين حشود الناس..
لكن هذا الإجهادَ على وجهه لا يمنع ظهور الصدمة في عينيه..

قال كبيرُ القضاة:

●"أنت تعلم لماذا .. ذبحنا (جيمس) لأنه كان مصاصَ دماء، والقرية كلها تعلم"!

يسقط الطبيبُ على ركبتيهِ وهو يشعر بخيبة أملٍ لا أول لها من آخرٍ، وقال وهو يبكي:

●"لم يكن كذلك .. ليس له علاقة بما حدث .. لقد ذبحتم بريئًا"!

تعالت الوَشْوَشَاتُ بين الحشد وقال كبير القضاة غاضبًا:

- "ما الذي تقوله؟! .. ألم يكن أنتَ من قال أنه يعاني من حاله هوج مصّ الدماء!؟".

قال الطبيب منفعلًا:

- "نعم قلت .. ولكن جهلك لم يفهمني!".

- "أتقول الآن أنّه ليس مصاص دماء .. إذن هل يمكنك أن تفسر سبب احتراق جلدهِ من الشمس؟!".

- "(جيمس) كان مريض بالبيروفوريا .. وهو الذي يحدث نتيجة خطأ في تصنيع مادة الهيموجلوبين في كرات الدم الحمراء وهي التي سببت تلك الحروق في جسده عند تعرضهِ لضوء الشمس"!

- "ما الذي تقوله؟! .. ماذا عن تبوّله للدماء ورغبتهِ في شرب الدم؟".

- "سبب ذلك هو الخطأ في تكوين الهيموجلوبين فأصبحَ يعاني من فقر في الدم وهو يحتاج للدم ليعوض ذلك الفقر .. ولكن هذا المرض يجعله تزداد رغبتهُ في الحصول على الدمّ عن طريق الشرب لا الحقن!".

لقد فسَّر الطبيب كل شيء .. كل ما كان يحتاجه (جيمس) هو العناية لا الذبح!

تعالَتْ الوَشْوَشَات بين الناس لتصل لصيحاتٍ عاليةٍ هذه المرة..

قال القاضي بتوتّر محاولًا إخفاء جريمته:

obeikandl.com

● "لقد قتلناه بوتد خشبيٍّ في قلبهِ .. لماذا مات ل ولم يكن مصاص دماء!؟".

نهض الطبيب من على الأرض في انفعال وقد أخذ رمحًا من رماح الجنود الواقفين للحراسة بجانب القاضي .. وكسرَ مقدمة الرمح المعدنية بساقهِ .. ليتحول لوتدٍ خشبي .. ثم قذف به الطبيب في قلبِ القاضي الذي سقط جثة هامدةً على الفور وقال:

● "أنت الآخر مِتّ من وتدٍ خشبي .. أأنت مصاص دماء أيضًا؟".

كان موقفًا شجاعًا .. لكن الحقّ لا يستمر..

تم تنفيذ الإعدام في الطبيب بتهمةِ القتل العمد لكبير القضاة .. أو بتهمة الدفاعِ عن خائفِ الشمس..

ولكنّ القاضي أصبحتْ سيرتُه تتبادل على الألسنة .. بأن الجاهلَ يظلم ويخطئ .. لكنّ علم الطبيب يكشف الجاهل على حقيقته!

obeikandl.com

سكيزوفرينيا

أسماء حسني – مصر

تجلسُ فى وادٍ غير واديها مستغرقةً في ذاتها، وتتأرجح بينَ عالمين، أحدهما من محضِ خيالها والآخر من محض ما يفرضه عليها واقعها، تسبحُ في عالمها الخيالي الذي صنعتهُ وتوحدت معه إلي الحدِّ الذي جعلها لا تستطيع التمييز بين الواقع والخيال.

تهذي حالتها في الدقيقةِ الواحدة إلي عشرات الحالات؛ فما بين العقل والجنون شيء أهون من الشعرة، يعجزُكل من حولها عن التفاهم معها، فإن تحدثتْ ابتدعت المصطلحات الغريبة، واضطربت كلماتها وعدمت منطقيتها، وإن عبرت حضرت اللزمات الحركية في تعابير وجهها من غمض العينين ومحاولة عصرهما وهز الرأس وتحريكها لليمين أو لليسار!

تظهر عليها علامات فقدان الاهتمام بمظهرها الشخصي وإهمالها لنفسها، فهي قضيت مئاتِ الأيام في مستشفياتِ الأمراض النفسيةِ وكلَّما خرجت كانت تعاودُ إليها مرةً أخري لإ نتكاستها وربما سينتهي بها الأمر قضاء معظم حياتِها فيها.

منذ شهر مضى، قررت المصحّة إخراجَها لتحسن حالتها ولكن شاء القدر بأن يُتَوفّى والدها في هذا الشهر ويمتنع إخوتها عن استلامها وإيعادها للعيش معهم مرةً أخرى متحجّجين بأنهم ليسوا أهل اهتمامٍ بها أكثر من المصحّة، وظلّ ملفُّها معلقًا إلي أن يشفق لحالتها أحد من إخوتها ويأتي ليخرجها.

كانت حالتها محور اهتمامٍ وشفقةٍ لكلِّ الأطباء حيث وصفوا حالتها بأنها أسوأ من أي مريض شاهدوه في حياتهم؛ فحين يجتمع كل من المرض المزمنِ والحظّ السيء لا داعي من التعجب!

كان د.(حمزة المنياوي) يقف في حديقةِ المصحة وعلي بعد خطوات منها وبصحبة طبيبها المكلّف بمتابعة حالتها، وكان قد طلب منه أن يأتي في زيارة قصيرة إلي المصحّة لرؤية حالتها، أشار الطبيب إلي دكتور (حمزة) على مكان جلوسها وتركه لمهمته وانصرف.

رَمَقَها بذلك الفضول المزعج الذي تراه في أي شخصٍ يحاول الاقتراب منها، ويعطي لنفسه الحق الإلهي في التدخل فيما لا يعنيه لكونه فقط طبيبًا.

اقترب من مكان جلوسها ووقف أمامها وقال بنبرةٍ هادئةٍ:

"أتسمحي لي بالجلوس؟".

رمقته بنظرةٍ حادة، وحاولت أن تستجمع ما تقول وأخذت تردد جملته في فمها فخرجت مفتّتةً وأحست أن عقلها فارغٌ ولا تجد كلمة مناسبة تخرجها وهي تُبَرْبِشُ بعينيها محاولةً عصرهما ثم هزَّتْ كتفها في لامبالاة وعادت إلي شرودها مرة أخرة!

أخذ د.(حمزة) مجلسًا حذوها وخلع نظاراته وقال بحنو:

"لا ترهقي نفسك كثيرًا إن كنتِ لم تستجمعي ما تجيبي به عليَّ ... فقط أنصتي إلي حديثي وعاهديني أن تضعي بشرودك هذا جانبا ... اتّفقنا؟".

حدَّقت النظر إليه وأومأت برأسها علامة الموافقة!

- "حسنا ... أنتِ حالتك كانت مستقرةً جدًّا وأجزم إليكِ أنني بعد أن اطلعت علي آخر تقرير لحالتك بأن أقول لكِ إنكِ كنتِ قد تعافيتِ تمامًا ... ولكن حالت ظروفُك ووفاة الوالد بين ذلك وعدتِ لانتكاستك ثانيةً ... ولكن صدقيني... لا أحد يستطيع أن يساعدك يا بنيتي غير نفسك.. كلٌّ مشغول بنفسه في هذا العالم.. ساعدي نفسك بنفسِك.. تناولي الأدوية باستمرار ،وقاومي الأعراضَ بكل ما أوتيتِ من قوةٍ .. حاربي هواجسَك ... وضلالاتك ... دعي خيالك وودعي وحدتك ... عيشي في الواقع ... تعاملي مع من حولك ... كُفّي عن التعامل مع من ابتدعهم لكِ خيالك ... أفيقي من كل ما بداخلك ... انهضي وأزيحي عن كتفيك رمالَ المرض وبدليها بقوّتك!".

اتَّسعت حدقة عينيها وهي تحملقُ النظر إليه، كانت هزيلةً وبدا وجهُها كالقناع، نهضت فجأةً ومشيت من أمامِه كما لو كانتْ ساقاها خشبيتين، وأخذت تُهرولُ في حديقة المصحة، وهو لم يتحرّك له ساكن، وفرِح بأن ذلك ربما يكون شيئًا مبشِّرا لإستجابتها لحديثه، وأخذت تركض مخلفة من ورائها صراخاتها العالية التي كانت تدوي في ساحة الحديقة، وبعد أن انتهت عادت إلي مكان جلوسها بهدوء شديد وكأن شيئًا لم يكن وسبحت في شرودها مرة أخري.

وبعد صمتٍ دام بينهما لأكثر من نصف ساعة، حدّقت النظر بعينيها إلى أعلى وقالت بصوت يتفتت كلمة كلمة:

- "شكرا لمجيئك ... قُل للساعات أن تتوقّف... الوقت ... الوقت قد حانَ ... سوف يُغادر... الوضعُ مُرْهِب ... الجاذبيةُ تسحبني إلى الأسفل... أنا خائفة... قل لهم أن يبتعدوا ... ابتعدوا".

أصبحَ تفكيرُها وكلامُها مُشَوَّشَيْن إلى حدّ التنافر. وكانت كلما حاولت إخراج كلمة من فمِها نظرت بعينها إلى أعلى، ولم تخفضها إلا بعد أن تنتهي من جملتها".

استاء د.(حمزة) من عودتِها إلي ضلالاتها مرةً أخرى وقال لها بنبرة حادة يستوقفها:

- "كُفِّيْ عن هذا ... كل ما تسمعينه وتشاهدينه أمامك لا أساس له من الصحّة ... كفاكِ هواجس لقد نال الإرهاق منك ما نال".

انتفضت لكلماته هذه ووضعت بكّفيها علي أذنيْها وجَزَّت علي عينها تعصرهما ثم نهضت فجأةً واقتربت منه وأمسكت به من ياقة قميصه بقوة وقالت في رعب شديدٍ:

- "قالوا لي إنك ما أتيت إلا لتقتلني ... ولكني أنا من سيقتلك ... سأقتلك ... سأقتلك".

obeikandl.com

نَحِيْبُ جَسَد ..

نجلاء شهاب – مصر

بخطًى مرتعشةٍ تعودُ "سما" لغرفتها، مُنْهَكة، لا تزال تحت تأثير جلسة الكيماوي، لمحت وجهَها بالمرآةِ وهي تسيرُ، لم تعد تلك الفتاةَ الجميلة التي كانت محطّ إعجاب الكثيرين، صارت شاحبةَ اللون لا ملامح لها، كسيدةٍ عجوز بعمر الثمانين!

تتنفّس بصعوبةٍ، تُلْقِي بجسدها النحيل على السرير وبذاكرتها آخر لقاء، "أحمد" يُلقي محاضرةً بالجامعة، تشاهده من بعيدٍ كي لا يلاحظ وجودَها، تدخل الممرضةُ تعلّق لها المحاليل، لم تجد أي عروق لتضع الكانة، بصعوبةٍ وضعتها، شاردة بفكرها: أعلمُ أنّني أموت، تمنّيت أن أراه للمرة الأخيرة، ليتني أستطيع أن أخبرَه بمدى حبّي له، ولكنني لا أريد أن يشفق عليّ، لقد تركت له الدبلةَ مع صديقتي لتخبره أنّ كلَّ شيء نصيبٌ!

أعلم أنّه يتألّم ولكن حين ينساني ويعلم بأمر موتي سيكون الألم أخفّ، بقيت أيام قليلة لي وأفارق الحياة، تدخُل والدتُها الغرفة تنظر لها بكل حبٍّ ودموعها محتبسة بعينيها، هيا يا "سما" سنعود للمنزل لقد أنهيتِ الجلسة، تستند على كتف أخيها بصعوبةٍ، بأذنها صوت "أحمد" وهو يغنّي لها، كانت تُحبُّ صوته كثيرًا، تمنَّتْ لو كان بجانبها الآن وهو من تتَّكئ عليه، ببطءٍ شديدٍ

تصعد درجات السلم، تتركُها والدتها لترتاح، سأعدّ لكِ بعض الطعام، تتّصل صديقتُها تطمئنُّ عليها، تردُّ بصوتٍ ضعيفٍ مرتعشٍ تسألها عن "أحمد"، تُخبرها: بخير، سآتي اليوم لزيارتك، تُمسك الموبيل لتشاهد صورهم معا ودموعها تنهار بصمت تحتضنه، تُفيق من النوم على صوت أمّها: "سما"، جاء ضيف لزيارتك، يدخل "أحمد" غرفتَها، يقترب منها، بعيون يملؤها الحب والحنين، لقد أخطأتِ هذه المرة، المرضُ من عند الله –سبحانه- لن أتخلى عنكِ، أمسكَ بيدها، يقول:

"رغم حزني وألمي ممّا فعلتِ إلا أنني ارتحتُ الآن"، تبتسمُ بمرارةٍ: "لا ترهق نفسك فأنا بتعداد الأموات، لا تستسلمي، قاومي لأجلي، أحبُّك"!

وبعد مرور ساعات، يغادر ويترك لها السعادة بين كفيها..كم هي ممتنةٌ له؛ لقد شعرت بالتحسّن، تتمنى لو يبقى الأيّام الأخيرة بجانبها، تدخلُ الأمّ غرفتَها، طلبك "أحمد" للزواج".

تنهارُ دموعُها وبحسرةٍ تبتسم: "أنا أموت"!

*"قال أنّه سيعود؛ استعدي!".

لا تصدّق ما تسمعه؛ هل جُن جنونه، اتفق مع أمها أن يقضي بقية أيامها بجوارها!

المساء، يرنّ جرس الباب..تسمع أصوات وهمهمات، جاء "أحمد" تعتدل، يجب أن يراني بشكلٍ أفضل..سأقوم وأرتدي الفستان الذي يُحبه، وأضع

قليلًا من المكياج لأعيدَ بعض الحياةِ لوجهي..تدخُلُ لها الأمّ: "ماذا، هل جاء "أحمد؟".

*"لا يا "سما" لن يأتي"!

*"لقد تخلّى عنّي، كنتُ أعلم أنه أمرٌ صعبٌ عليه، سامحيه يا أمي".

*"لن يأتي واعلمي أنه يحبّك .. لقد اختاره الله –سبحانه- ليكون بجواره، مات اليوم بعد أن غادر بحادث سيارة"!

تخورُ قواها، يحملها الأب والأم ليضعاها، لا أصدّق ما حدث، أتمنى أن أموتَ الآن لألحق به، تبكي طوال الليل، تذهب صباحًا مع أمِّها لعزائه، أمُّه انهارت بالبكاء ..تحتضن "سما" قد مات "أحمد" كان يحدّثني البارحةَ ويخبرني بأمر زواجكما وهو سعيد!

تبكي "سما" بحرقةٍ، والألم يعتصر قلبها، تمنَّتْ لو كانت هي من فارقت الحياة، تعود لمنزلها: "لم أعد أحتمل العيش، أتمنّى من الموت أن يأتي سريعًا بعد أن كنتُ أتمنى الشفاء؛ لا حاجة لي بالشفاء، أنتظره وبلهفةٍ ليجمعني الله –سبحانه- به بالجنة!

انعتاقُ الفِكر

سيما صقر – فلسطين

نَعْبُرُ من نفسِ الطريق، تتباينُ العقبات في صعوبتِها، كلٌّ منا يتذوق من الحياة صفعًا ليس بهين، لنعلم في نهاية المطاف أن هذا كلَّه كان ثمنا ندفعه مقابل تجرع كؤوس من الفخر بما أبدعناه، تجارة... نعم تجارةً ولو علم التّجار ما أربح هكذا صنف، تشتري فيه بضاعة لا تضاهيها كنوز الدنيا بثمن بخس.

أحبّها مرتبةً، منظمةً، موشحةً بأجمل الألوان؛ لطالما حَرَصْتُ على أن تكون مملكتي أعظم مملكةٍ، أنظر إليها فأحمد الله وأتذكر قول أمي: (ربك لا يضيع أجر أحد)، كم رأيت علامات تعجب واستفهام تتجه صوبي!

فينةً تزورني من مديريّ، وفينةً أخرى من زملائي زميلاتي من المعلمين، لم يستطيعوا مرةً أن يكتموا دهشتهم من طريقة تفكيري ونظرتي للصف الذي أدرسه، وأنا بدوري أضحك ساخرةً، أظنوا أنّني تكبدت العناء والمشقة لأصبح معلمةً لمجرد التفكير بصفي على أنه محض مقاعد، ولوح، وطلاب أسرد لهم ما أحفظه وأملي عليهم ما يفعلون؟! إنهم مُخطئون، بل غارقون في بحرٍ من الخطأ.

طيلة عشر سنوات من تعليم لم أغفلْ عنه قيد أنملة، بقيَ الشعور بالرضا يلازمني ولا يعتريه أي نقصٍ، ولا يتخلله شك، لكن حدث ما لم أتوقعه في يوم، جاء لصفّي طالب يدعى (معاذ)، كان أكثر من طالب، فأنا معلمة وأعرف طباع التلاميذ وعاداتهم أما معاذ فهو حقًّا شديد الاختلاف، هادئ لا يتكلم إلا عند اللزوم، يترفّل بأثواب الطيبة ويتحلى بأسمى الصفات، وعلاوة على ذلك فإن ذكاءه كان ظاهرًا للعيان مذ أول وهلةٍ رأيته فيها، كل حركة منه وإشارة أمارة جديدة على نبوغه، تبارك من خلقه لا يترك مسألة إلا ويفكُّ عقدتها، لكأنّه شمسٌ تنبلج هاربة من مكمنها تنير دروب الآخرين، ومثل كل عام أعلنت المدرسة اعتزامها على الذهاب في رحلة وأخبرت التلاميذ بأنّها ستكون إلى فلسطين المحتلّة، وأوكلوا إليَّ مهمة إحصاء الأعداد التي تنوي الذهاب، وكم كنت مستاءةً حال معرفتي بامتناع "معاذ" عن الذهاب، فرحت أقنعه بأن يرافقنا، فلبَّى رغبتي بكل أدبٍ وسرور.

ولمّا حان موعد الرحلة مضينا متوكِّلين، وبعدما تخطينا الجدار الفاصل بين الضفة والأراضي المحتلة قال لنا أحد الباعة اليهود -الذي يجيد العربية بلهجة ركيكة بعض الشيء-: "أهلا بكم في إسرائيل". صراحةً إن ما قاله لم يلفت انتباهي، أما الغريبة فهي ردة فعل "معاذ" الذي استشاط غضبا وقال للبائع:

"ومن صرَّح لك بهذا الاسم الخاطئ؟". فما كان مني إلا أن أمسكت بمعاذ وسحبته بعيدًا وشرعت أصرخُ في وجهه، وأُأَنِّبُه على كلامه وافتعاله للمشاكل _وهو طبعًا الواعي المدرك للموقف- ردّ بكل أدب واحترام: "آسف يا معلمتي،

ما سبق لي وأن سمعت أنَّ كلمة الحق افتعال للمشاكل، ثمَّ إنني فقط أردت التعرف إلى وجهة نظره، كما أنه يمكن لسؤال كهذا الذي سألته إياه أن يدفعه لإعادة التفكيرِ وترك الخزعبلات التي يتمسَّك بها". أنهى "معاذ" كلامه الصاعق ومضى مع الطلاب، وتركني في حالة يرثى لها، شعور غريب يهزّ وجداني، رعشة برد ترجف لها أناملي ونحن في عزِّ الصيف، تتشابك الأفكار في عقلي، ثم ها أنا أدخل في حالة من الصمت لآخر الرحلة.

عدتُ إلى بيتي مشتَّتةً، مرتبكةً، يائسةً، وأخذت أفكر في الذي قاله "معاذ"، إنه كان صادقًا، إذا ماذا؟ أأنا كاذبة؟ نعم، يجب أن أعترف بذلك فكيف أعلم طلابي في الصف قولَ الحق والشجاعة والتعبير عن الرأي، ثمّ أُأَنِّبُهم على صراحتهم وأدفعهم لدخول عالم من الخوف والجبن، فيصبحون سجناء تأسرهم قضبان الحتلال؟!

اتصلت بمديرِ المدرسة وأخبرتُه بأنني سآخذ إجازة في اليوم التالي، فقد كنت في أمسِّ الحاجة للجلوس مع نفسي والتفكير بجدية في معتقداتي، وإبصار سلبياتي قبل إيجابياتي لمعالجتِها والتخلُّص منها، ويا لتعاستي عند وصولي خبر انتقال "معاذ" لمدرسة أخرى في القرية المجاورة، حاولتُ اللقاء به دون جدوى، تمنيت لو أراه مرةً واحدةً فقط لأعتذرَ منه على ما بدر منِّي، على خيانتي البشعة لمهنتِي!

مُؤَكَّدٌ أنه شعر بالضيق من تصرفي الجاهل فقرَّر الابتعاد، بحثت عنه كثير حتى أنني ذهب لبيته فقال لي أهله بأنه يبيت عند جَدِّه ليسهل له الذهاب لمدرسته الجديدة.

أكملت حياتي ونويتُ إصلاح نفسي مع التغاضي عن الموقف الذي حصل، لكن كيف؟! فمعاذ ذهب مخلفًا وراءه جرحًا كبيرًا في قلبي، قلب المعلمة والفلسطينية والإنسانة، تسير الأيام وإذا بإرادة الله –سبحانه- تجمعني بمعاذ وألتقي به صدفة في المسجد الأقصى؛ فأعتذر منه وأخبره عن ندمي وخجلي الشديدين، فيقول لي: "لم تخطئي بحقي حتى تعتذري بل أخطأتِ بحق هذه الأرض التي تعيشين عليها".

قلت: "أو برأيك تقبل هي اعتذاري؟".

فيبتسم ابتسامة مشحونة بالألم ويقول: "كل هؤلاء الناس الذين ترينهم أخطؤوا بحقها، أفنبذتهم؟ أستبرأت منهم؟ لا والله بل ما زالت أحنَّ عليهم من أنفسهم".

ثم رحل وتركني في حالة انعتاق مع الذات وسرحت متأملةً بهذه الأرض، الذي لا ملجأَ لنا منها إلا إليها، ولا نجد حضنًا غيرها إلّا هي، وما المشكلة في أن يعلم الطالب معلمَه؟ لأول مرةٍ أفقه مفهوم الحرية، فالسجنُ ليس وحده من يأسر الإنسان بل يمكن للمرء أن يسجن في فكرة، أو خطأ حتى يأتي أحد ويعتق روحه منها!!

obeikandl.com

حيـرة

محمد عبد المنعم علي محمد – مصر

أحقًّا ما يراه أمامه، ولا تلاعب؟...أيعقل أن يكون حقيقيًّا ما لم يكن من الممكن تخيله؟

يراهم أمامه!...هنا والآن؟..

بالتأكيد ما يراه الآن هو عبثُ خياله. لا يوجدُ تفسير منطقيٌّ سوى هذا. أيكون الإجهاد هو السبب؟...وهو الذي طالما اشْتَهرَ بين أقرانه بالبركان؛ لفرط نشاطه وحماسته. أهو أوانُ الخمود؟..ولماذا هذه الليلة بالذات؟..

أتكون إصابتُه هي الملومة؟..وما تكون تلك في جسدِه المكون أساسًا من تجمع الإصابات والندوب؟!

تتصارع في عقله الأسئلة؛ وتراوغه الإجابات. ترتجف روحه قلقا؛ ليس بسبب الخوف، فإنّهم لا يرهبونه؛ بل إنَّ الرعب كان دائمًا من نصيبهم هم في كل مواجهاته معهم. إنما فقطْ هي الدهشة والتعجب مما يري.

كيف ولِمَ الملبَّدة بهما سماؤه تبرقان دونَ أن يمطِرا ما يشفي حيرته. يراهم يتسللون؛ يكمنون؛ كالعقارب تتحين لحظتها لتفني كل اللحظات. ربّما كان هذا هو الجانبَ الوحيد الذي يستطيع أن يجزم بحقيقتِه؛ فطبيعتهم وأساليبُهم طالما كانت له واضحة جليةً. لا غرابةَ ولا دهشةَ في ذلك. لكن أن يراهم اليوم بالذاتِ علي ضفته؛ فهو ما لا يستطيع فهمه.

كل الضفاف ملكُ يمينه؛ هو حارسُها منذ آلاف السنين. لم يقصِّر؛ لم يَهِنْ عزمُه. ربما كان هوان من بيدهم الأمر؛ وارتباكهم أضاع منه ضفة. سنين عدة؛ نسج فيها أعداؤه أساطيرَهم وآلهتهم علي أشلائه هو ورفاقه. لكن، حتى في أعتى درجات سطوتِهم؛ لم يستطيعوا حرمانَه مما لم يجرؤوا هم أنفسهم عليه. لم تمنعه هو ورفاقه نيرانُهم أن يسبحوا في المياه...يتمتَّعوا بقدسيَّتها؛ يعانقوا حورياتها التي كانت تنشدهم النصر قبل أن يولد.

واليوم؛ حين تغيّرت المعادلة علي يديه هو ورفاقه. أو بمعني أدقّ؛ عادت لتوازنِها الصحيح. يراهم أمامَه هنا؛ علي الضفة الغربية؟!

لقد اختلط عليه الأمرُ بالتأكيد؛ فقد كان يقاتل منذ أيام قلائل على الضفة الأخرى. ما يزال يذكر تلك اللحظة وينتشي بها. اللحظة التي سطر فيها هو ورفاقه تاريخًا تهاوتْ أمامه الملاحم الإغريقية القديمة. اللحظة التي أشهدوا فيها العالم أجمع؛ أن الحقيقة فقطْ عنده هو ورفاقه؛ وما عداهم أوهام. حتى أتته الإصابة...الإصابة التي ظنَّ معالجوه، وقادته، وربما أعداؤه؛ أنها ستمنعه أن يكمل ما بدأ. ألا يدركون أن الروح في ثورتها وانطلاقها لا تهتم بقيود الجسد؟...وهو ما عبّر عنه بجملةٍ واحدة: ولو بنصفِ جسدٍ يا فندم سأحارب!

وكم كانت تلك اللحظة قاسية عليه؛ اللحظة التي ألحق فيها على وحدة إدارية في الضفة الغربية....والقائد يُرَبِّتُ على كتفه: "لمصلحتك".

ود لو يصرخ في وجهه: "أي مصلحة وأي حماية؟...ألقينا في معارك ليست لنا، سنين عدة؛ دون أي تخطيط تحت مسمَّى الحماية. فوق رؤوسنا تهاوت منازلنا؛ هجَرنا منها. صدرت لنا الأوامر بالانسحابِ وبإخلاءِ جميع الميادين

بمسوّغ الحماية. أي حماية تلك التي تترك الروح في اهتراءِ الخرق البالية؟ حماية القبرِ الطيني الذي يضمها ويحويها؟....لقد أثبتنا أنَّه لا سبيل للحماية إلا بالقتال...القتالُ وحدَه. أراد أن يلقيَ ما بجوفه دفعةً واحدة؛ لكنه اكتفي بأن أدى التحية العسكرية وبقوة"!

لا بد أن هذا هو التفسير إذن. شوقه للقتال الذي حرم منه جعلَه يتوهمُهم هنا أمامه. شدَّ قامته وتقدم؛ عملاقٌ خطواته عرجة؛ من أثر إصابته. ولربما كانت إصابته النفسيّة أشد تأثيرًا من الجسمانية. صاح: "كلمة السر"!..

ربّما كان الأمر في النهاية لا يعدو كونه بعض رفاقه؛ يتجولون بالخطأ في مربع حراسته. وسرعان ما سيردّدون في آليةٍ كلمة الأمان التي لقنتهم إياها القيادة. أو ربّما كانوا رفاقه الموتى؛ الذين طالما حاوَرَهم؛ يستنطقهم؛ بعد كشف الحجبِ عن الأبصار إجابات الأسئلة التي كانت ولا تزال تؤرّقه وتؤرّقُهم. حتى لو كانوا الأعداء فعلًا؛ فهي فرصتُه ليريهم حقيقته. أيًّا كان الأمر. فليهنأ الآن بالشهادة التي نالها عدةَ مرات من قبل؛ وليترك الأسئلة؛ كما كانت دائمًا.....مُعَلَّقَةً!!

اخترتُك ونَدِمت

مياده قباري – مصر

تَوَقَّفْتُ أمامَ ذلك الساحر المموّج أمامى، أتنفّس تلك الرائحة المُمَلَّحة التي يركضُ خلفَها الكثير؛ ابتسمتُ بكسرةٍ وأنا أنظر له معاتبةً كعادتي: "هل هذا وعدُك لي أيها البحر الساحر؟! لقد وعدتني بالسعادة والحياة؛ وعدتني أنني لن أندمَ أبدًا، واستسلمت لإرادتك وقدتني إلى هلاكي"!

سرحت بذكرياتنا التي لابد أن أنساها ولكنّها كشريطِ سينيما تأبَى التوقُّفَ عن سردِ نفسها داخل عقلي!

تذكرتُ ذلك اليوم الذي بدا كئيبًا فى أوّله، كنت أستمع للكثير من النقد على عملي الروائي الذي على عكس النقد بيعت منه عدة طبعات كنت متعجّبةً كيف ينجحُ كلُّ هذا النجاح؟!

بينما يتلقي كلُّ ذلك النقد الجارح؛ مسحت دمعةً سقطت رغمًا عنى لأستمع إلى صوتِ مَرَحٍ يخبرني قائلا:

"تلك العيون لا يجدر بها سوى الضحك"!

استدرتُ أنظرُ إلى الصوتِ متعجبةً من هُوَ ليتحدث معي هكذا؛ ابتسم مجددًا وهو يقول:

"الجميلة (شمس العناني) لا يجدر بها البكاء! كيف تقدّم البسمةَ لآلاف المعجبين بينما هي تبكي هكذا؟!"

ابتسمتُ له وحييتُه في أدبٍ ولكنّه اقتربَ أكثر وظلَّ يتحدّث معي وكأننا أصدقاء؛ لقد كان نجدتي من غبطةِ قلبي!

استمرّ حديثُنا لأيامٍ طويلةٍ لم أعد أعدها؛ فالوقتُ يمرُّ كأنّه لحظات عندما تشعر بالسعادةِ مع أحدهم، نسيتُ معه من أنا وماذا كانت حياتي من قبل أن أجدَه، تناسيتُ ذلك النقد الذي كان ينخر أضلاعي، كلُّ الألسن اللاذعة التي كانت تلدغني كثعبانٍ جائعٍ يستعد لالتهام فريسته لم تعد تعني لي شيئًا بعد أن عرفتُه وعرفت عنه كل شيءٍ أو هكذا سوَّلت لي نفسي!

بدأَ قلبي بنبضاتٍ خافتةٍ يخفقُ نبضاتٍ لم أعلم كنيتَها، حاولتُ أن أنساها ولكنّها كانت تزدادُ قوةً، مع الوقت بدأتُ أستشعر أنّه هو سبب النبضات فكلّما أقترب منه ضربَ إعصارٌ قلبي وانفجر أخيرًا عندما طلب مني اللقاء عند النقطةِ من البحر التي تقابلنا فيها أول مرةٍ، عندما نظرتُ إليه كانت نظرته تلك المرةَ مختلفةً، وقتها تَمَسَّكَ بيدي قائلًا بابتسامته الساحرة التي أغرقتني به:

"لم أَعُدْ أستطيع الصمت أكثر من ذلك؛ لا أريد للشمس أن تغرب أبدًا عن عالمي، أريدها أن تشرق للأبد ولكي تشرق لي للأبد لا بدَّ أن تكون ملكي؛ فهل ترغبين يا شمسي أن تكوني ملكًا لي؟! .... (شمس) أنا أحبُّك"!

هَرَبَ الكلام من حلقي؛ هل هذا يوم سعدي أم يوم تعاستي؟ لم أكن أعلمُ وقتَها ما سيحدث إن وافقت أو رفضتُ! كانت نظراتي حائرةً!

طالَ صمتي وأنا أنظر له لا أعلم بماذا أردّ.... شَعُرَ باليأس واغْرَوْرَقَتْ عيناه بالدموع، وَهَمْهَمَ بكلامٍ غيرِ مفهومٍ، وَهَمَّ بالرحيل،كان سيرحلُ ويأخذ قلبي معه، لم أشعر إلا بصوتي وهو يصرخ عاليًا:

"وأنا أيضًا أحبك وأرغب بتمضيةِ المتبقي من عمري معك"!

استدار ناظرًا إليّ بسعادةِ طفلٍ بالخامسةِ اشترت له والدتُه اللُّعبة التي رغبها، وركض ناحيتي لأجد نفسي مرتفعةً بالهواء وجسدي يطير، امتزجتْ ضحكاتُنا في سعادةٍ لم أشعرْ بمثيلتها من قبل!

أخيرًا ما كَبَتَهُ قلبي طويلًا، أخيرًا أنزلني وتحدَّثنا مطوَّلًا إلى أن صدمني بما أراد؛ حقًّا عندما نظر إلي بحبٍ قائلًا:

*"أريدك أن تهتمي بي فقط، أنا أشعر بالغَيْرةِ من عملك الذي يلتهم كلَّ وقتك، أنا كاتبٌ مثلك وأعلم أنّه أمرٌ شاقٌّ جدًّا أن تظلّي عاكفةً أمام الورق وتعصري عقلك الجميل لتخرجي بفكرةٍ مبهرةٍ"!

*"ولكن الكتابةَ هي حياتي؛ لا أستطيع أن أحيا بدونها"!

*"كلما استغرقتِ بالكتابة، كلما ابتعدتِ عني، وأنا لا أرغب بأن تبتعدي عني، فكِّري مليًّا فيما أقول؛ أنا حبيبُك الذي يتمنَّى سعادتك أم أعمالك الشاقة؟!".

تركني لأيامٍ أنعي حظي التَّعِس؛ شلّني التفكير كيف أستطيع أن أختار بين حياتي وقلبي؛ هل أختار الحبَّ الذي أشعرني بالسعادة الفترةَ القليلةَ الماضيةَ أَم أختار عملي الذي مهما عملت من أجل هؤلاء لن يروني كاتبةً جيدةً، وكانت النتيجة واضحة كوضوح الشمس؛ دائمًا ما يتغلّب قلبُ المرأةِ في تلك المواقف وكانت النتيجة هي أنّني ركضت إليه أُخبره أنني سأترك عملي لأجله؛ كم كانت سعادته غريبةً جدًّا عندما أخبرته أنني سأتركَ مجال الكتابِ وسيخبو نجمي الذي بدأ يصعدُ بقوةٍ ...

تزوّجنا أخيرًا، وبدأ نجمُه يصعد... عامان وأصبحَ كاتبًا مشهورًا، وأنا ربةُ منزلٍ بائسةٍ تتشاجر هي وزوجُ الأحلام على أتفه الأسباب؛ الرجل الوسيم الشهم الذي أخبرني يومًا أنّه يناصر حقوق المرأة اكتشفت أنه كاذب كبير، لقد كان الواقع لا يرى للمرأةِ أي حقوق؛ هي مجرَّد خادمةٍ لزوجها لا بأس من نهرِها عندما يكون عصبيًّا!
لا بأسَ من لطمِها على وجهها أحيانا بدون أيِّ سبب واضح؛ فقد زينت له نفسه ذلك الآن ... لم يكن أبدًا نفسَ الشخص الذي أوقعني في حبِّه وجعلني أتخلَّى عن مستقبلي لأجلِه!

ندمت على اليوم الذي أوقعني فيه في الحبّ، وندمت على ترك مستقبلي لأجله؛ فعلتُ ما تفعله كل السيدات في هذا الوقت وصبرت! ربما يعتدل حاله

ولكنّ الحال كان من سيئٍ إلى أسوأ، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي قررتُ فيه أنه لا مجال للتراجع الآن بعد ما سمعت!

عاد ذلك اليوم متأخرًا جدًّا بعد سهرةٍ مع بعض الأصدقاء ويبدو على وجهه الخدر، لا أعلم ماذا تناول ولكن بدا على وجهه الثمالة البالغة؛ عاتبته على ما هو فيه؛ فصرخ بوجهي قائلا:

"ومن تكونين حتى تخبريني ماذا أفعل هل تظنين أنكِ زوجتي أو حتى حبيبتي؛ لقد تزوجتك فقط حتى أكسر ذلك الأنف الذي بدأ يرتفعُ للأعلى لكي ينطفئ ذلك النجمُ البائس ولا ينافسني، وقد حدث! لقد نسي الجميع من تكون (شمس عناني) وجميعهم يتحدثون فقط عني أنا عن (فاروق الحديدي) وأنت لا شيءَ سوى خادمةٍ حقيرةٍ لم ترتقِ حتى لتكوني عاهرتي"!

لم تعتد عيناي البكاء على أحد كباقي الفتيات، ولكنّي ابتسمتُ بكَسْرةٍ وأنا أراه يرتمي على الفراش بتهالكٍ، وانسابتْ تلك الدمعةُ الحقيرةُ التى تخبرني أنني فتاةٌ كغيري عندما يقتلني من أحبّ لا بُدّ لعيني أن تذرف بعض الدموع، ولكنّي مسحتُها بقوةٍ وعزمتُ أمري سأخرجُ من تلك الحياةِ القاسيةِ وإلى الأبد!

سأحاول العودةَ إلى واقعي الجميل الذي تخلَّيْتُ عنه يومًا وندمت، الآن سأفعل المستحيل ولن أنْكَسِرَ مجددًا؛ أعلم أنّه يمكن أن يأخذ مني وقتًا طويلًا حتى أعود ويلتئمَ جرحي الذي أُصيبت به نفسي عندما سَوَّلت لي أنّه يهواني كما أفعل، ولكنني سأستمرُّ حتى أجدَ نفسي مجددًا حتى أجد (شمس العناني)...

رسالة ماري

ياسمين محمد - مصر

عزيزي ديفيد:

"لطالما كنتُ أسخر من الذين يمضون ساعات في كتابةِ مراسيل لأحبابهم ولم أكن أعرف كتابة سطر واحدٍ علي الأقل؛ ربما لأني مُفْرَغَةٌ من كل المشاعر ولم يكن لدي شيءٌ حقيقي لأقوله. كنت أرى كل كلمات الحب مجردَ حروف حمقاءَ ومن يقولونها مجرد مجموعةٍ من الكاذبين يضيعون بها وقتهم، كنت أرى كل العشاق ساذجين مراهقين لا يفقهون شيئًا، وكنت أرى الحبَّ بأكمله سرابًا ووهمًا!

ولطالما كنت أحمي نفسي منه حتى لا أقع في هذا الفخِّ ولكنني عندما التقيتك منذ بضع سنوات في شارعنا الخلفي وكنت أشتري بعض الورود الحمراء للمزهريّة التي أمتلكها منذ صغري؛ أتذكر نظرتك لي جيدًا؛ لم تبتسم لي ولكنك كنت تتفحَّصني بدقةٍ، ثم نظرت في عيني مباشرةً ومضيت لطريقك الذي لم أعرف آخره يومًا .. لم أكترث يومها كثيرًا وحاولتُ أن لا أضع الموضوع بذهني؛ مجرد رجلٍ ذى قبعةٍ سوداءَ غريبِ الأطوار له نظرة مدقّقة بعض الشيء ينظر لي؛ إنه أمر غير مهمّ!

لكن في المرات المتتالية كنت أراك في المكان ذاته وأنت تشعلُ سيجارتك ويبدو على ملامِحِك الغموض واللامبالاة، ولطالما كان هذا النوع يشغلني كثيرًا لذا لم أعرف كيفية إقلاعك من رأسي.

وتمرُّ الأيام وتقرّرُ أن تبدأ معي حديثًا لطيفًا لم أكُن أتوقّعه وتحدّثني عن الثوّار ونضالات الشعوب والظلم والقهر الذي نتعرض له ثم تخبرُني في نصفِ الحوار كم أني جميلة وثوبي رقيق!! ثمَّ فجأة وبدون أسباب نقتربُ كثيرا نقترب أكثر من اللازم.. حدثتني عنك وعن كلِّ مواقفك مع السياسة والفلسفةِ والحبّ، وكانت أجمل لحظاتي عندما كنت تلقي عليَّ شعرًا في العشق وأنت تنظر لي!

كنت الشيء الوحيد القادر علي إسعادي وبطريقة مختلفةٍ أيها الوسيم.. يا إلهي، لقد أصبحنا شيئًا واحدًا ولا يمكنني السيطرة على قلبي.. لقد أحببتك كثيرا يا (ديفيد) دون أن أدري وصرت أذوب في أعماقك بكل سهولة، جعلتني أغير أفكاري كليَّةً وأعيد النظر في الأشياء من جديدٍ، علمتني أن أنظر من زاوية أخرى لا تلزم العقلانية، زاويةٌ مجنونةٌ مليئةٌ بالنشوةِ والجنون والحب والحرية.. آهٍ ليتك تعلم كم كنت وحيدةً وبائسة من دونك. الآن وبعد أن مرت خمس سنوات على علاقتنا؛ أنا لست نادمةً علي أي شيء وأشكر الصدفةَ التي جمعتنا سويًّا وأصلي لله دائمًا وأطلب منه أن يحفظك لي ويباركك أينما كنت.. في النهاية أردت تذكيرك بأني أحبك وأظن أني سأحبك للأبد".

محبوبتك ماري، لاس فيغاس ١٩٩٠

بُرْهَانْ

محمد ربيع – مصر

في ذلك اليوم الذي تَبَرَّأَتْ منه الشمس؛ تَسلّم مفاتيحَ مسكنِه الجديد، شقةٍ بعقارٍ متآكلِ الوجهة، قاتمِ الطَّلْعة، تَرْتَابُ نفسُك منه وتجزعُ لأول وَهْلةٍ، وفي تلك الحارة العتيقةِ البائسةِ التي تُشْبِهُ أطلال الأمم السحيقة؛ اتخذ هذا الغريبُ مقرًّا لسَكَنِه، وعمله الخاص والعام في آنٍ، بات الغريب قريبًا ومألوفًا لدى أهل الحارة البؤساء؛ فكان يتردَّدُ على محالِّهم، ويشاركُهُم المناسبات حتى إنَّه تزوَّج من (سلطانة الحسن)؛ بهذا اشْتَهَرتْ (حسناء) ابنةُ بائعة الخضار على إحدى نواصي الحارة -تلك الغَجَرِيّةُ البيضاءُ الطاغيةُ الأنوثة-، لم يشترطْ النزاهة، قطعًا كان يعلم شيئًا من سيرتها الحافلة مع شبابِ الحيِّ بل والأحياء المجاورة.

على الجانب الآخر، وبمبدأ "ضِلّ راجل ولا ضِلّ حيط" تم الزواج من صاحب الأصول الإفريقية الذي توارتْ بظِلِّه عن عري الشارع الذي لا يرحم برًّا ولا فاجرًا.. لكنّه كان هادئًا ودودًا، دائمَ الصمت، تعلو مُحَيَّاهُ ابتسامةٌ دائمةٌ لم يرق لها تفسيرا إلا أنه أحدُ المتصوِّفة.. بدأ (الشيخ برهان) عمله منذ أول يوم وَطِأَتْ قدماه تلك الحارة الموبوءة بكلِّ أسباب التخلف من فقرٍ وجهلٍ ومرضٍ وما شابه؛ فالكهرباء لم تنقطع كالعادة بعد التاسعة مساء؛ بفضل حلولِ بركتِه على أهل الحارة المحظوظين، وها هو (علي) ولد (المعلم حمودة العطار) يبرأ من حالة صرعٍ بفضل تميمةٍ سحريةٍ ترافقها تَمْتَماتٌ قد أعدها (الشيخ برهان الدِّين) كان هذا في إطار الاستعداد لما هو قادم من أحداثٍ

ستقلب الحارة رأسًا على عقب؛ فما هي إلا سويعات حتى فشا أمر كرامتِه في أنحاء الحارة، ومنها إلى أن طبق ذكره الآفاق وراجتْ بضاعتُه، وتهافَتَتْ على خزائنه أموالُ الناس، وانتقل بزوجِه الفاتنةِ إلى مرحلة من التَّرَفِ؛ ما جعلها لا ترجو أكثر من ذلك، إلا أنّ سعادتها توقّفتْ مؤقتًا لظرف طارئٍ لم يستطع رَدَّهُ أحد لا (برهان الدين) ولا غيره؛ ألا وهو وفاة والدتِها التي كانت قد انتقلت للعيش معهما والاستغناء عن تجارتها التي لم تعد بحاجةٍ إليها!

وتدور رحى الحياة، وينسى الأحياءُ من رحلوا سريعًا، وكانت (حسناء) لا تكف عن مطالبة (الشيخ برهان) بِقُرَّةِ عين كي تنعم بأمومتِه ويؤنسَها سيما وأن أسفار (برهان الدين) قد كثرت وطالتْ حتى إنه ليغيب بالشهر والشهرين، يجوبُ الأقطار ويجمع الأموال الطائلة معتمدًا في ذلك على مهارته وقدرته وهيئته التي يُعتقد فيها الصلاح والصلة، ولكنه كان يرفض طلبها بشيء من الحسمِ لحاجة في نفسه آثر تفرده بها!

وحيدةً (سلطانة الحسن) تنعي فوت ربيعها المهجور ما بين البخور والتمائم والأرواح والتعاويذ التي قد أَلِفَتْها بحكم العادة، وما بين حرمانها من الذرية قهرًا، ولكنها الآن وحيدة مع الرجل القوي الذي تنحني له رؤوس البشر طمعا ووقاية؛ بفضل معارفه العُلوية والسُّفلية، ولكنّها لم تيأس؛ ظَلَّتْ تحاول معه وتُلحّ بكل ما أوتيت من سبل برغبتها في إنجاب طفل يحمل اسمه وتأنس هي به حتى رَقَّ ولان لأمرها؛ وكان ما أرادت (حسناء) وفي تلك الأثناء؛ علق الشيخ لافتةً على باب بيته مفادها (تمنع الزيارة قطعيا لأسباب خاصة)، فتفهم الناس الأمر وأيقنوا أنه في خلوة مع الأسياد والأفضل ألا نزعجُه بطلباتنا حتى

يخرج إلينا بالبُشْرى؛ فَتَمَّ لها ما أرادت وتم له ما أراد.. بعد مرورِ شهرٍ خرج (برهان الدين) تملؤه الثقة حدَّ الغرور، والجِدَّةُ بدت جليةً على ملامح وجهِه، ولكنه بعد لم يُزِلْ اللافتة مما أقلق جيرانه وارتابت أفئدتُهم من أمر ما صنعه الشيخ، وانطلق في أحد أسفاره متفردًا بعلم وجهته كالعادة.. ولكن أحدًا ما تجرَّأَ على خرق اللافتة التي وضعها الشيخ.

كان يتردَّد هذا الشاب الوسيم على بيت (الشيخ برهان) خفية أثناء ترحاله؛ لحاجة (سلطانة الحسن) إلى ونيسٍ قديمٍ لطالما كانت تطمئن بوجوده، وكان يشبعها هو الآخر بطريقة تكاد تجن من فرط لذتها معه، الأمر الذي غاب عن إدراك الشيخ العارف. وما إن تجاوز هذا الشاب بوابة البناية الرئيسية التي امتلكها (برهان الدين) حتى اصطدم بِقُفْلٍ سميك على باب الشقة مما أثار فضوله؛ هَرْوَلَ مسرعًا وأتى بآلة حادة ليفتك بهذا القفل؛ ثُمَّ دخل ليستكشف الأمر بحكم معرفته المسبقة بتفاصيل البيت!

بحث في كلِّ الحجرات إلا واحدةً كانت خاصة بالشيخ لم يتمالك فضوله حتى فتك ببابها ليذهلَه ما رأى من رؤوس الكباشِ، وبعض الدُّمَى، وعظام الإنسان التي تستخدم في أعمال (السحر الأَسْود) المعمول به حتى الآن في أنحاء كثيرة من العالم وما هي إلا ثوان معدودة حتى ارتعدت فرائصه وارتجف حينما رأى بزاوية الحجرة ما يشبه جُثَّةً، وجدها كفرخةٍ مَخْلِيَّةِ العظام؛ خرج مسرعا لينقل الخبر.

كان (برهان الدين) أثناء رحيلِه جَمَعَ أَعَزَّ ما يملك من متاعٍ في حقيبة صغيرةٍ وَقَرَّرَ اللاعودة!

"عمومًا، لا شأن لنا"

دعاء بوجمعة - الجزائر

-"عموما، لا شأن لنا" قالت (رنيم) عبارتها المألوفة هذه محاولة إنهاءً ذلك الحوار العقيم الذي تخوضه صديقتاها في كلِّ مرة؛ بشأن الكَهل الذي أتى إلى الحي منذ سنين عديدة واتخذ من حطام بيتٍ مهجورٍ ملجأً له، أو كما تسميه (سلمى) "مجنون الحي"وتقسم كل مرةٍ على أنه مختلٌّ عقليًّا وأنه قد هرب من المصحة العقلية بينما تعارضها (عبير) بأنه سفاحٌ خطيرٌ قتل كل أهله وأضحى وحيدًا بعد خروجه من السجن. لا يقف الأمر عند روايتي كل من (سلمى وعبير) بل يتفنن كلُّ سكان الحي في تأليف الأساطير حوله يتوارثونها جيلًا عن جيل، لكن في الواقع؛ جميعهم يجهلون حقيقة هذا الأخير كونه لا يتحدث ولا يرد على أحد.

كانت (رنيم) فتاة في الثامنة عشرة من عمرها تُعرف في الحي بكونها ذكية وفطنةً جدًّا وكذلك بكونها الوحيدة التي لا تصدق تلك الخرافات التي يدعونها؛ لم تتقبَّل يومًا فكرة أن يكون ذلك الشخص مجنونًا أو سفاحًا؛ فكيف يمكن لمن يعرف طريق المسجد خمسَ مرات في اليوم مجنونًا وكيف يمكن لمن يطعم الطيور من فتات ما عنده شخصا سفاحًا؟!

حتى تلك الليلة الباردة الموحشة، كانت (رنيم) تحشر رأسها تحت وسادتِها لعلَّ صوت طقطقة أسنان ذلك الشيخ من شدةِ البرد يفلت قبضته عن ضميرها، لكنها لمْ تستطعْ التحمُّلَ أكثر، لقد كان الصوت يكاد يصمُّ الآذان أو على الأقلِّ آذان من لهم ضمير. انتفضت من فراشِها وَهَمَّتْ بحمل بطانية وكوبٍ من القهوة الساخنة وطلبت إذن والدتها التي وافقت على مضضٍ على أن تنزل صغيرتها إلى ذلك المسكين.

وصلت (رنيم) إلى مكانها المنشود، أخذ الشيخ منها ما أحضرت على غير عادته فهو لا يقبل شيئًا من أحد. أراحها ذلك جدًّا فاستجمعتْ كلَّ ما تملك من جرأة وجلست قبالتَه، نظر إليها مستغربا وقال: "ألا تخافين؟".

هزَّت رأسَها نافية وقالت: "ولم عساي أفعل؟".

أردف قائلا: "لا أدري، تعلمين أنا المجنون .. يبدع كل أحد هنا في تأليف القصص المخيفة عني لعل أطفالَه يخلدون إلى النوم باكرا"، قاطعته (رنيم): "لا يا سيدي، لا أصدق أيا منها".

ابتسم الشيخ في هدوء، خيَّمَ سكونٌ مريبٌ لم يلبثْ أن قطعه بقوله: "كانت لدي عائلة أتعلمين؟، كانت عندي فتاة في مثل عمرك آنذاك -نظرت إليه وابتسمت كأنها تحثه على أن يقول المزيد- كنت موظَّفًا في أحد البنوك الكبرى، كنت متزوجا وعندي ٣ أطفال؛ بنت وولدان، شاءت الظروف أن أمر بفترةٍ ماديةٍ عسيرةٍ، حثتني زوجتي حينها على اختلاس مبلغ من البنك لنحسن أوضاعَنا ونطعم أطفالنا، زَيَّنَ الشيطان الأمر في نفسي ومع استمرار زوجتي في

طمئنتي أنه لن يعلم بالأمر أحد، رضخت لذلك ولكنني لم أكتف بالمرة الواحدة ولا بالمرتين ولا بالثلاث، استمررت متناسيًا حقيقة ما أنا بفاعل، كنت أعيش في حلم جميل؛ مال وسيارات وقصور إلى أن استيقظت فجأة في زنزانة عفنة وكان قد فات الأوان. أمضيتُ فترةَ السجن وأنا أعضّ أصابعي ندمًا، وبعد انقضائها خرجتُ إلى كابوس أكبر؛ كان قد تبرأ مني كل من يعرفني، تَزَوَّجَتْ من كانت زوجتي، حُرمت من أطفالي وها أنا ذا أمضي ما تبقى من حياتي بدون مأوى عاريًا من التعريف ينهشني الندم وتسوطني ألسنة الناس لتزيد ألمي ألما.

لم تنبس (رنيم) ببنت شفة، خشيت أن تخرج كلماتها مليئة بالشفقة فتجرح أكثر من أن تواسي، اكتفت بطأطأةِ رأسِها أسفًا على حاله وعادت أدراجها إلى المنزل شاردة الذهن، استلقت على سريرها، أمسكت دفتر يومياتها وخطت بخط عريض: "قد لا يكونون أبرياء، ولكنهم ليسوا دومًا بالسوء الذي نظن"!

obeikandl.com

العانس

أماني جميل - مصر

لم أُدرك يومًا أنني لا أفقه شيئًا وأنَّ هناك ما هو أصعبُ من سقفِ طموحي الذي يغامرُ على اسمي على صفحاتِ المجلّات أو الجرائد باعتباري صحفيةً مبتدئةً؛ فكل مشاكلي هي كيف أصلُ بسرعةِ البرق .. ولكنْ هل حقًّا لديّ مشاكل؟ لا أعلم ولكنني دائمًا أنظرُ لمن حولي بمنظورٍ آخر وأرى أنني لا يوجد مثلي على الكون .. هل هو شعورٌ بالأنانية أو ثقةٌ بالنفس أو غرورٌ!؟

لا أعلم، ولكن بعد ما سمعته ورأته عيني حين طلب مني رئيسي في العمل أن أقوم باستطلاع آراءٍ عن نِسَبِ الطلاق في محكمة الأُسرة، ولماذا تتكاثر أعدادُ المُطَلَّقات .. وكان يجب عليَّ أن أختار موضوعًا يلفت الانتباه وأكثر تشويقًا .. هل حقًّا أنا تافهةٌ إلى هذا الحدِّ أم أريد لفت الانتباه لمقالتي!؟

وبادرتُ سريعًا في اليوم التالي إلى المحكمة .. وظللتُ طوال اليوم أسمع ما لا أذن تسمع، ورأيت ما لا عينٌ رأت!

وفي وسط ذلك الزحام .. رأيتُ ما أدهشني؛ امرأة تَعَدَّتْ الثلاثين، متزوّجة منذ فترةٍ قصيرةٍ وقفت أمام القاضي تحكي حكايتَها برفع دعوى على زوجِها؛ إنها تريد أن تُطَلَّقَ منه .. وكان سبب رفع الدعوى أنها امرأة (عانس)!

أذهلني الردّ: "وهل هذا سبب كافٍ لكي تطلَّق أو يقبل القاضي دعوتَها".

نعم قالت أنها امرأة تعدّت الثلاثين ولم تتزوج، وفى المنزل بين الحين والآخر يقولون لها لقد فاتك (قَطْرُ الجواز) وكأنني عدوى أو شيء يخافون ن أعديهم!

وبعد ذلك تطور الأمر وأصبحتُ يقال لي أنني (عانس) .. مجتمعٌ ذكوريٌّ غبيٌّ .. وأصبحت مثل المصابة بِعَفَنٍ .. لا أحد يقرب مني أو يفتح معي حديثًا .. أصبحتُ حديث العائلة؛ ينهكونني بأقوالهم الفارغة .. ولكن ما أنهكني أكثر هو كلام أبي وأمي .. كيف يخذلونني أمام نفسي وأمامهم هكذا!؟ كيف ينهكوا نفسي!؟ كانوا هم سبب وجودِها في المحكمة؛ فما كان لي سوى الاختيار؛ هو أنني أتزوّج أي شخص يتقدم لي للزواج!

وبالفعل حدث ما أرادوا .. فأول من تقدَّم لي للزواج؛ وافقتُ عليه رَغْمَ وجودِ اختلافاتٍ بيننا .. كنت أنا أعلى دراسيًّا وأخلاقا .. كنت أختلفُ معه في كلِّ شيء وتنازلتُ معه عن أشياء كثيرة الشرعُ أعطاها لي .. أَجَل، إنه استغلَّ السُّمْعَة التي وضعها لي أهلي؛ أنني امرأة (عانس) .. وبدأ بوضع شروطِه كأنه هو المرأة وأنا الرجل .. ووافقت كي أُنهي مهزلة تُنْهِكُني كلَّ يوم وتُطفئُ روحًا لو أردتُ أنا مصيرها فسأريد أن يُبيدها الموتُ وتنتهي .. ولكن إرادة الله دائمًا كانت الحدَّ القاطع بيني وبين تلك الأُمْنِيَّة!

وتنازلتُ وتزوجتُ معه في بيتِ أُمِّه .. وبدأت مرحلةٌ جديدةٌ من عمري .. مرحلة التعاسة؛ فأنا ما كنتُ له سوى خادمةٍ أو أقلّ .. امرأة بجسدٍ تُلَبِّي احتياجات رجل ليلًا، وخادمة له وأمه نهارًا .. وانهالت عليَّ الإساءات والضرب، وبدأ بسبِّي يوميًّا وأصبحتُ (عانس) في بيت أهلي .. و(عانس) في

بيت زوجي .. فدائمًا يقولُ لي: "لقد تزوجتك لكي أُنقذك من العنوسة؛ فاحمدي ربك أنني قبلت بزواج امرأة مثلك".

كدت أقتل نفسي!

وحين تأخرتُ عن أكون أُمًّا فأصبحت عاقرًا لأنني (عانس) .. انهالت الإساءات!

ولا أُدرك؛ أهذا قَدَري أن أُعذَّبَ؟ .. ولجأت لأهلي، وكانت تنهالُ أسئلة بلا منطق؛ كيف أُطلَّقُ وأنا تزوجتُ في الثلاثين!؟ عيبٌ عليَّ رغم أنني أُعذّب يا سادة!

فقدتُ إنسانيّتي وفقدتُ آدميتي مع رجل أصبحتُ معه دُمية .. لا حقَّ لي أن أصرخ أو أعترضَ على شيءٍ؛ فأنا مُجَرَّدُ جمادٍ؛ آكلُ وأشربُ فقط وأُلَبِّي رغبات رجل .. أما هو فمن حَقِّهِ أن يذهبَ لعمَله كل يوم، ويسهر مع أصحابه .. من حقه أن يرافق النساء ويتحدث معهنَّ .. من حقه أن يخرج ويعمل ويحقق ذاتَه ..

وأما أنا فجردني من كلِّ شيءٍ حتى أصبحتُ امرأةً بنصفِ روح؛ لا أدري هل لي الحق أن أعيشَ أم أتمنى الموت .. تركتُ عملي من أجلِ أن أكون زوجةً تهتمُّ بزوجِها، وقبل ذلك عليَّ أن أُشارك ببيتي؛ فهذا ما اعتاد عليه آباؤنا وأجدادُنا .. وبعد ذلك أهتمُّ بزوجي وبيتي .. ممنوع الخروج أو يكون معي أي مال خاص؛ فأنا آكل وأشرب مثل الحيوان، أنا لا شيء سيدي .. أنا امرأة

(عانس) عوقبت من المجتمع، ومن أهلي، ومن زوجي .. هل لا يحقُّ لي أن أرفعَ دعوى أمام المجتمع والعالم أطالب بآدميتي!؟

كنتُ مصدومةً من سماع ما تقول .. أردتُ أن أصفعَ كلَّ من عاشت معهم! هل هذا ذنبٌ تُعاقبُ عليه؟ إنَّها امرأة الثلاثين ..

كدتُ أَسُبُّ غروري وتفاهتي .. أين أنا من واقعٍ مريرٍ!؟ .. أنا أعيشُ داخل فقاعةٍ سيأتي يومٌ وستنفجر بوجهي!

obeikandl.com

طيف

أحمد إسماعيل – مصر

لم أكن قبل اليوم قاصًّا ماهرًا ولا راويًا حاذقًا، ولم يَجُلْ حتى بخاطري أن أحدّث بتلك الحادثة التي قلبت حياتي رأسًا على عقب وأحدثت زلزالًا عظيمًا في جدار رُوحي وصدعًا كبيرًا في أركان القلب وأورثتني حزنًا لا يُمحى!

فمنذ أن كنتُ صغيرًا أحببتُ في الصحف اليومية ذلك البابَ الصغيرَ المُسَمَّى (صَدِّق أو لا تُصَدِّق)؛ فكان المحرّرون القائمون عليه في مختلف الصحف يوردون أخبارًا قابلةً للتصديق ومستحيلةَ الحدوث في الوقت نفسِه.

وعلى الرغم من أن الباب نفسَه كان للتسلية، وغرضه الأساسي المتعة، فكأنَّ لسان حالهم يقول متحديًا: هذا ما لدينا فإن صدّقت فمرحبًا، وإن لمْ فأنت وما تشاء.

والكتابة بمثل هذا النسق وتساوى الكفتين بين التصديق وعدمه- يمنح حريةً وشجاعةً للتعبير عن الفكرة بغضِّ النظر عن محتواها ومضمونِها، وفي الوقت ذاته يفتح بابًا للرَّجْعَةِ إذا ما قُوبلت الفكرة بالهجوم.

يمكن أن أُدرج قصتي تلك تحت باب (صَدِّقْ أو لا تُصَدِّقْ)، لكن قبل أن أقصها، عليّ أن أُشير أنها قد حدثت بالفعل.. أعود بالزمن إلى الشتاء قبل الماضي، حيثُ السماءُ رماديةٌ، والشمسُ محتجبةٌ طيلة الأيام السابقة كأنَّها تشاركني ضيقي من كلِّ الأنماط الحياتية، وكلِّ الظروف المحيطة، وكلِّ الشخصيات التي ألقاها سواء عرفتُها أم لم أعرفها. كلُّ شيء كان يضغط عليّ حينها؛ أذهب إلى عملٍ بلا معنى، لا يقدّم لي سوى المزيد من ضغط الأعصاب، ومع كلِّ يوم فيه أشعر أنه يقضي على أجزاءٍ من روحي وذاتي، معاملاتي مع الناس باتت أكثرَ صعوبة، وصارت هناك جدرانٌ كثيرةٌ تُبنى؛ لتصبح سبلُ التفاهم بيني وبينهم مستحيلة!

حتى خطيبتي أصابني مَلَلٌ منها ولا أكاد أحتملُ صوتَها، وصل بي الشعور إلى درجة أن الطرقات التي أسيرُ فيها، وجدران غرفتي تبادلني الضيق والضجر، ولا تفهمني ولا تسمعني.

حَزَمْتُ أمري وحقائبي وتركتُ عملي للإجازة وسافرت إلى الجنوب على متن القطار المتّجه إلى الأقصر، وبداخلي رغبة أن أهرُب من كلِّ شيء وأبحث عن شمسٍ أخرى تغزو سمائي وتهزم غيومَ اليأس والأسى التي استوطنتْ وتلبدت في أفق روحي، ودفء يسري بأوصالي محلّ تلك البرودة التي سكنت وعَشَّشَتْ.

لكن هيهات! ما تَغَيَّرَ في الأمر شيءٌ وصدق القائل حين قال:

(البلاد كلها متشابهة إذا ما دخلناها بتأشيرةِ الحزن)

ولم أَكَدْ أصل هناك حتى قفلت راجعًا، ولم تَدُمْ رحلتي إلا يومين وأنا أحمل الضيق والأسى نفسَيهما، ولم يغيّر السفر شيئًا، وزاد على كل ذلك عناء الرحلة وشقاء السفر.

ولم يَجُلْ في خاطري حينها بأنني في طريق العودة على موعد مع نقطة التماس التي لمست روحي وغيرتها؛ التقيتها.. التقيتها هي.. التقيت شطر روحي الناقص.. هم العمر ودمع الزّهر كما غنت فيروز.. بهجة الحياة وغصتها.. السؤال الحائر والجواب المُبْهَم.. أملى المشرق وغدي الضائع.. التقيت طيف... قبالة نافذة القطار كانت جلستي مستسلمًا للطريق، أحمل بين يديّ كتاب (شافاق وقواعدها الأربعون). أقرأ فيه قليلًا ويشرد ذهني كثيرًا، لا أكاد أكمل صفحة إلا والشرود يلتهمُني عدة مرات!

لا أذكر على وجه الدقة متى أدركني النوم وأنا على تلك الحال، وكلُّ ما أذكره مقطعٌ من الكتاب توقفتُ عنده كان يقول: (إن السعي وراء الحب يغيّرُنا؛ فما من أحد يسعى وراء الحب إلا وينضج أثناء رحلته، وما إن تبدأ رحلة البحث حتى نتغير من الداخل والخارج).

استيقظتُ على أجمل وجهٍ قد تراه عين بشر؛ وجه ملائكي حلو القسمات؛ فتاة اجتازت عقدَها الثاني بقليل ذات لون خمري، تعقد شعرها الفاحم السواد بعقدة أعلى رأسها، عيناها سبحان من أبدع الجمال! فيهما انعكاس فضيٌّ يشبه ضوءَ القمر، ويفتر ثغرها عن ابتسامة أسرة تحرّك الروح ذاتها من سباتها.

التفتت إليّ وقد لاحظتْ استيقاظي، ابتسمتْ وبادرتني بالقول: "أخشى أن أكون قد أزعجتك أو أن وجودي قد أيقظك! وسامحني قد وجدت كتابك انزلق من يدك وسمحتُ لنفسي أن ألتقطه، وبقي معي حتى تُفيق وأعيده إليك، فطال نومك ودفعني فضولي أن أقرأ كتابك، فأنا أيضًا أحب (شافاق) وهي كاتبتي المفضَّلة؛ أجدها ترسم روحي في كتاباتها وتعبّرُ عن مضمون ما يحتويه القلب. هل تعلم أن تلك القواعد قد قرأتُها أكثر من عشر مرات ولم أملّ منها؟!".

أخذتني المفاجأةُ من طريقتها، ولم تَنْبِسْ شفتي بجوابٍ مباشر، سوى بسمة تَسَلَّلَتْ سريعًا إلى وجهي واختفت في حينها! وأدهشني منها براءة حديثها، وانطلاقها، ودهشة عينيها حين تتكلّم وكأنها طفل اكتشف معجزة الكلام حديثا.

وما أثار دهشتي أكثر أنه لم يُهمها العبس ولا التجهُّم اللذان صاحبا وجهي في ذلك الحين، بل وأكثر من ذلك أنه لم يتركها إشراق وجهِها ولا بسمتها. ظلت تتحدث كثيرًا ما يقرب من النصف ساعة وكأنها ظمأى للكلام، وللعجب أكثر لم أملّ أنا من السمع، رغم أن رحلتي في الأصل كانت توقًا للخلاص من الكلمات والأشخاص.. انتبهتْ لكثرة حديثها قائلة: "آسفة! نسيتُ نفسي، هكذا أنا عندما أحبُّ شيئًا أتحدث عنه بكلّي وأنسى معه كلَّ شيء حتى الوقت".

لا أعرف يقينًا ماذا حدث لي! لكنَّ شعورًا غريبًا بالألفة نَبَتَ في نفسي وكأني أعرفُها منذ دهور، التقيتُها لكن لا أذكر أين ولا متى! أكملي حديثك يا

فتاتي فأنا منسجم تمامًا.. متشوقٌ جدًّا.. منجذبٌ للغاية... استمري فيه وإن كان لا يعني شيئًا أو غير ذي قيمة، أنا معكِ أستردّ نفسي مرة أخرى.. اجعلي منه نهرًا جاريًا لا يجفُّ أبدًا.. تائهٌ أنا معها في غياهب كلماتها وموضوعاتها البسيطة التي لا تنتهي.. فإذا بها توقّفت فجأةً وعادت تسألني مرة أخرى: "لماذا تبدو مهمومًا وحزينًا هكذا؟ وما الداعي لكل هذا الأسى القابع في عينيك؟ يا إلهي ماذا أقول لها؟! اختنقتْ العَبْرَةُ في صوتي الذي رفض أن يطاوعني ويجيب، من أين لكِ بتلك القوة أيتها الفتاة الرقيقة؛ لتتوغلي بحياتي بمثل هذه الطريقة؟ أأقول لها بأنني كنت ضائعًا تمامًا حتى التقيتها؟ ظمآن حتى ارتويت من سِحْرِ حديثها وطيبة روحها؟! ماذا أقول يا جميلتي؟! فما إن ملكت صوتي حتى أجبت كَنَزار:

(أنا أقدمُ عاصمة للحزن وجرحي نقشٌ فرعوني، وَجَعي يمتدُّ كَسِرْبِ حمام من بغداد إلى الصين)..

فلاحقتني بدلالٍ طفوليٍّ تُكمل ما أجبت:

(زيدينى عشقًا زيديني يا أحلى نوبات جنوني)

وضحكت ضحكة ساحرة..

وقالت: "أنا أحب (نزار) أيضًا وأحفظ أشعارَه، يمكن أن يكون (نزار) محورَ حديثنا حتى نصل ولن أملَّ، أو يكون نواةً لصداقةٍ قد تدوم بيننا إذا رغبت في ذلك".

-"ما اسمك يا صديقتي؟".

-"اسمي (طيف نور)".

قلت مبتسمًا: "اسمكِ أم صفتُك؟".

فَرَدَّتْ بخَجَلٍ: "تُغازلني إذن؟".

-"إن كان غزلًا فهو يليقُ بك وأنتِ جديرة به".

ازدادتْ وجنتيها احمرارًا!

استمرَّ حديثنا وطال.. لم أُدْرِكْ معه لا الوقت، ولا الناس، ولا حتى ذاتي. تحدَّثْنا في كلِّ شيء، وضحكنا على كلِّ شيء حتى نفسِنا.. وقبل أن يصلَ قطارنا قلت لها: "ينبغي ألا أتركَكِ أبدًا.. وهذا الودّ لا بُدَّ ألا ينقطع، قولي لي أين تقيمين؟".

دَوَّنَتْ عنوانها في الكتاب ورقمَ هاتفها، واتفقنا على اللقاء مرة ثانية. شردت وارتحلتْ بي الفكرة مرةً أخرى ودار ببالي الكثيرُ من الكلمات والموضوعات لنتحدَّثَ فيها، أدرت رأسي وأنا أحمل شوقًا وبهجةً للوجه الجميل، لكن لم أجده.. يا إلهي، كيف ذاك!؟

لا أحسب أن شرودي قد استغرق إلا بضع دقائق والقطار لم يصل بعد! اختفت.. واختفت أمتعتُها، يا إلهي، أين ذهبت!؟ القلقُ يعصِف بي، والدقائق تمرُّ ثقيلة، وكاد القطار أن يصل وهي لم تظهر بعد.. رَبَّاه.. أعدها إليّ.. فكلماتُنا ما انتهت بعد وموضوعاتنا لم تَزَلْ وليدةً لم تكبر! أي جنون هذا الذي يعتريني؟!

تراني كنت أحلُم وهي مجرد وهمٍ؟! لكن كيف وأنا شعرت بها وسألتُها عن اسمها، وكتبت لي عنوانها؟! سألتُ جيراني في المقعد المجاور أرأَيتموني أتحدث إلى فتاة؟! فأنكروا عليّ وقالوا: لم نَرَكَ تتحدث أصلًا منذ ركوبك! يا ربّ! يكادُ عقلي أن ينفجر؛ أَوَصَلَتْ بي الأمور لهذا الحد من الخبل والتخيلات؟ رحماك يا ربّ، أين هاتفي اللعين؟!

أنفاسي تتلاحق، أطلب الرقم بيدٍ مرتجفة؛ يأتيني الصوت الآلي بأنه مغلق؛ ماذا أصنع؟ وصل القطار ولم أعرف كيف ظهرت أو كيف اختفت.. سأذهب لآخر الشوط.. أين عنوانها الذي دونته؟! سأحمل نفسي إلى هناك عَلِّي أجد ما يروى ظمأَ سؤالي وَيَسُدُّ رَمَقَ جنوني واشتياقي. بناية أنيقة في إحدى الضواحي الهادئة في القاهرة –كما وصفت لي- في الطابق الثاني لافتة تحمل اسم (نور عبد الله).

امرأة خمسينية العمر فتحت لي الباب يبدو عليها هدوءٌ ووقار وتبدو شبيهة جدا ب(طيف)، يُغطِّي وجهَها مسحة حُزن لا تخطؤها العين! "مساء الخير يا سيدتي، هل لي أن ألتقي الآنسة (طيف)؟! فقد التقيتُها على متن رحلة القطار الواصلة من الأقصر اليوم، وقد نسيتْ غرضًا لها ووجدتُ أن من واجبي أن أعيدَه إليها –صراحة لم يكن ببالي أي حجة لألتقيها إلا تلك، فعلَّلتُ أن الحجة هي الكتاب وإعادته– وأرجو ألا أكون قد أزعجتكم يا سيدتي!".

تغير لونُ المرأة ولمحت في عينيها دمعًا يحتشد ولم أفهم!

تفضل يا ولدي! وإذا بي أجد صورة ل(طيف) وفي أعلى يسار الصورة شريطة سوداء؛ غاص قلبي في قدميّ، قلت: "لربما هي أختها وتُشبهها"؛ لأخفِّفَ عن نفسي وَقْعَ الصدمة.

سألتها: "سيدتي، أهذه هي (طيف)؟".

وأنا أتمنَّى أن تجيبني بالنفي.

-"نعم يا ولدي.. تلك ابنتي الوحيدة.. (طيف).. واليوم هو ذكرى وفاتها الثالثة!".

ماذا تقولين يا سيدتي، أنا قابلتُها منذ بضعة ساعات وتحدَّثت إليها، وأعطتني عنوانَها ورقم هاتفها.. أليس هذا رقم هاتفها؟".

أخذتها حالةٌ من الارتباك والدهشة: "نعم يا بني، هو الرقم، هو العنوان، قصّ عليّ مرة أخرى كيف وصل إليك الرقم".

حكيت لها كيف التقيتُها وتفاصيل اللقاء، وأنا أحكي وهي تبكي كلما أسهبتُ في الوصف، إلى أن انتهيت، قالت لي: "هَلُمَّ معي يا بني نذهب لزيارتها، وتدعو لها، فهي كانت يا بني كاسمها (طيف) فعلًا، رقيقة وجميلة، أقل شيء كان يؤذيها، أخفُّ نسمة هواء كانت تجرحها".

وأنا أسير معها بين المصدّق والمكذّب.. يوشك عقلي أن ينفجر، هل هذا حدث لي حقًّا!؟

وصلنا أنا ووالدتُها إلى مقبرة كُتب على شاهدها:

هنا ترقد المغفور لها بإذن الله (طيف نور عبد الله) المتوفاة في شهر أبريل من العام ٢٠١٤م.

لم أتمالك نفسي ووجدتُني أشارك الأم بكاءها.. وبقيت (طيف) حكايتي القصيرة الحزينة الحُلوة التي لم أحكها حتى هذه اللحظة، ومنذ حينها وإلى اليوم أنتظر طَيْف (طيف) عَلَّهُ يزورني مرةً أخرى...

obeikandl.com

سمْرَاء

د / منى محمود - مصر

فُتِحَ الباب قليلًا لتمتد منه يدٌ خشنة ظافرة، تحمل منديلًا قماشيًا أبيض اللون، مُلطّخًا بالدماء! .. فيزداد الطبل اشتعالًا، وتموج زغاريد النسوة لتعصِف بحالة الترقُب الجاثمة على الأنفاس لدقائق مضت.

عاد ذو اليد الخشنة مُنهكًا بخُطى يتجاذبها، ليُلقى بنفسه على الفراش، مُعطيًا ظهره لذاك الجسد المُنكمش بجواره، وغط فى سُبات عميق.

جسدٌ مُنكمش ضئيل، لا يحمل من علامات الأنوثة سوى القليل، وجه شاحب، عينان مُتحجّرتان، مُمتلئتان بدمع مُحتبس. دمعٌ مُقيّد .. لم يعِ يقينًا إن كان بإمكانه تحطيم قُضبانه، أو حتى الانفجار خلالها، فينهمر مُتحرّرًا على الوجنتين ..

كُنت أنا .. "سمراء"، هذا اسمى. لا أعلم سبب تسميتى هكذا رغم بياضى الشاهق، سوى أنها كانت رغبة أبى، رحمه الله.

ظللت ثابتة مكانى، بلا حِراك. إلى أن هدأ الضجيج بالخارج شيئًا فشيئًا ..

تناهى إلى مسامعى أخيرًا صوت مزلاج الباب الخارجى للبيت وهو يُغلَق بإحكام، وانطفأ بصيص الضوء المُنبعِث من أسفل باب غرفتى.

حتمًا قد رحل الجميع، ودلَفتْ حماتى للنوم بالغرفة المُجاوِرة، لا يفصلها عنى سوى هذا الجدار..

انزعجت بشدة، فهرولت مُسرِعة من تحت غطائى الحريرى لأرتدى ثيابًا، كانت قد وضعتها لى أمّى على حافة السرير. أخبرتنى أنها ثياب ليلة العُرس. وجدتها مُلقاة أرضًا.

لم أكتفِ بها، فارتديت الروب فوقها. كان طويلًا جدًا، حتى أنه أخفى كلتا قدمايّ بالكامل. أحكمت الرُباط ، رغم يدايّ المُرتعدتان، فلم يعُد يظهر منى سوى رأسى والكفين.

كان خفقان قلبى ينتفض له جسدى بأكمله، بشكل متواتر لا يكاد ينقطع. حتى صوت نبضى، كان صداه فى أذنايّ كقرع الطبول !

رمقت الرجل النائم بذعر.. ثم الحائط الفاصل بينى وبين حماتى بذعر أكبر .. فوجدتنى أتكوّم على الأرض بجانب السرير، أضُم ساقايّ لصدرى بعُنف، وكأننى أؤكد لنفسى أنى لم أزل أملك شيئًا فى جسدى لم يُمتهَن بعد .. فلم أتأكد مُطلقًا.

لست أدرى لماذا فى هذه اللحظة بالذات تذكرت يوم "خِتانى" .. ليلة أتت أمّى بامرأة غريبة لبيتنا الصغير. ودونما أىّ حديث، أرقدتنى أمّى على الأرض، فى وضع يشبه ذلك الذى كنت عليه مُنذ قليل. جردتنى من ثيابى عُنوة، لتقترب المرأة الغريبة بثيابها السوداء .. كانت هى الأخرى لديها أصابع قاسية، خشنة، امتدت لجسدى بجرأة .. بينما أحملق انا بدهشة، مكتومة الأنفاس .. لا أعى ما يحدث، ولا ما سيحدث ..

لم تمُر اللحظة .. إلا وعلا صُراخى من شدة الألم .. ومن رؤية الدماء .. بل، ومن صدمتى، أكثر من أى شيئ آخر!

انتظرت من أمّى تفسيرًا لما فعلوه بى فى الأيام التالية، ولم يحدث. لا أذكر أنى قد أتيت بخطأ يستحق كل هذا العقاب! كيف فعَلت بى أمى ذلك، وهى من تُشدّد علىّ دومًا منذ وعيت على الدنيا، أن عورتى خطٌ أحمر .. لا يجوز كشفها، والموت أرحم من هتكها .. لا أعلم !

انهمر دمعى أخيرًا فى صمت واستسلام .. انهمر مُتصارعًا مُتقازفًا، مُتسائلًا : لماذا يُفعَل بى هذا؟ وبتلك الصورة الموجعة؟ ألأنى يتيمة؟! أوَلو كان أبى على قيد الحياة، كان سيكون بإمكانه حمايتى من كل هذا؟ .. لا أعلم !

لماذا أصرّت حماتى على أن يتم زفافى على ابنها الآن، وقد رأيتُ شيخ زاويتنا يُشدّد على أمّى مِرارًا؛ أنى لازلت أصغر عن السن القانونى بالكثير. لم أفهم حينها ما هذا السن القانونى. ولكن .. لماذا وافقت أمّى؟ لماذا استسلمت لقسوة حماتى؟ ألأنها مكسورة الجناح، بلا رجل؟ أم أنها وجدت فى ذلك الفرصة لتتخلص من عبء وجودى بالبيت؟! .. لا أعلم !

كيف للأغراب أن يهتكوا سترى، ويتقاذفون منديلًا يحمل دمى فيما بينهم، وعلى الملأ هكذا؟! .. أسمع دومًا كلمة "الشرف" ممزوجة بفعلتهم القبيحة تلك .. أوَيتجسد معنى الشرف فى بضع قطرات دماء؟! .. لا أعلم !

وما أكثر ما لا اعلمه فى هذه الحياة .. حتى القراءة والكتابة، تعلمتهما بالكاد، خِلسة من جارتنا التى تذهب للمدرسة. هى لديها أب.

انتفضتُ من سيل أفكارى بذُعر إثر تحرُّك الرجل القابع فى الفراش، لينام مُستلقيًا على ظهره .. كتمت أنفاسى بكلتا يداىّ، حتى تأكدت أنه لم يزل مُستغرِقًا فى النوم، ولن يستيقظ الآن. اطمئننت، فأنزلت يداىّ الأولى تلو الأخرى لأتنفس ببطء ..

تسمّرت عيناىّ حينها على وجهه، مُسترجِعة لحظات الفراش معه .. كانت قاسية كملامحه، مؤلمة. كان ينتزع كل شيئ منى انتزاعًا .. وجنتاىّ .. شفتاىّ .. كل شيئ .. كل شيئ .. !

شعرت بالعُرى رغم الثياب! .. فهرعت إلى الدولاب، وارتديت جلبابًا فضفاضًا فوق ملابسى الطويلة، وعُدت لأتكوم ثانيةً على الأرض ..

obeikandl.com

لحظة حياة

فاتن فاروق محمود – مصر

ككل صباح تحاول النهوض ومفارقه هذا التخت المتسبب فى الكسل اليومى الذى يعمل على اغرائها بعدم فراقه والابتعاد عنه مع العمل على كافه الاغراءات التى تساعدها على ذلك .. وهى كعادتها المتكاسله كل يوم بفتح عينها بصعوبه للنظر الى شعاع الضوء الضعيف المتسلل من ثقب باحد ضلف شباك غرفتها منذرا بقدوم يوم مشمس جديد وايضا يوم عمل ممل جديد. تنتظر رنين اخر ياتى للتنبيه بالاستيقاظ فى تمام الساعه السابعه بدء الاجراءات اليوميه الاولى، ترافقها فى رحلتها الاولى قطتها التى تحاول منذ الساعات الاولى ان تعمل على ايقاظها دون جدوى. هاهو الرنين قد اتى بصوته المزعج تتسلل اصابعها اليه لقتله ووءد صوته وتتكاسل فى النهوض ترافقها الى المقر الاول حيث الماء والطعام ومنه الى هذا الشىء المعدنى الذى لا يمل من دفع قطرات الماء كانه يعمل على طرد شىء بداخله يريد الخلاص منه . تدفع مايأتى بيدها من ماء بوجهها كانها حرب بين وجهها وبين هذا الماء ظنا منها انه المتسبب فى ذهابها للعمل. الصلاه واجبه لمباركه اليوم ... والاتجاه لدولاب الملابس اووووف لكل هذا الكم الهائل من الاقمشه والملابس ..والزحام والمعركه اليوميه بين العصرى والقديم والليلى والنهارى.. اه ليتنى استطيع العوده واحتضان وسادتى الجميله المستعده دوما لاستقبالى فى اى وقت اريده. ماهذه الفوضى اليوميه ولماذا هذا الروتين اليومى ليتنى لا ارتدى

اى من هذه الملابس.. الم نأتى لهذه الدنيا احرار وليست الحريه هنا حريه الوطن التى نادى بها الاحرار القدماء من الثوريين ... خلقنا الله احرارا مثلنا مثل باقى الكائنات بدون رتوش ولا ساتر ولا اى شىء ، لماذا نتستر دايما بما يدارى عوراتنا مع انها لا تستر عيوب نفوس البشر. اخيرا تخيرا مايستر بدنها وقررت النزوح الى الشارع ، كائنات بشريه فى ذهاب واياب منها المسرع ومنها المتكاسل مثلها وقد لفت نظرها عامل النظافه الذى يحمل القمامه دون ان يفتح عينه ليرى مايفعله وتضحك فى داخلها فهو ينقل قاذورات الناس النظيفه جدا من مكان الى اخر دون ان يرى موطن ماينقله وليته لايفعل . حياااه.. كل شىء يسيركانه بريموت كنترول كل يوم هو نفس اليوم لا جديد ولا احد ينظر لاحد ... اين الحياه اذا. تستقل سياره العمل نفس الميعاد ونفس المقعد ونفس الوجوه ونفس الحديث ولا يقطع هذا الصمت القادم الا صوت السيارات الماره وتسببها اليومى على سبحتها الخشبيه المباركه من البلاد الحجازيه التى حصلت عليها من صديق صالح لها . لماذا كل هذا الروتين ؟ ولمذا لا تعمل ولو مره واحده وتتخطى حاجز الخوف و الخجل التى طالما تربت عليه منذ نعومه اظافرها ؟ هاهو الصرح العظيم الذى طالما كان حلم الكثير من الشباب فقط للنظر اليه .. تمل به منذ زمن بعيد من جيل الاوائل به... هاهو مكتبها واوراقها وقلمها وستبداء العمل اليومى . احقا سيبدأ العمل الان !! لكن اين عمرها ؟؟ لماذا لا تعمل شىء جنونى لم تقم به من قبل وهى التى تحافظ دوما على مواعيد العمل وتقدسه.. وماذا لو عاشت يوم من عمرها دون ترتيب او عمل حساب لكل شىء؟ خارج هذا المبنى الذى افنت سنين كثيره من عمرها حياه..جمعت اشيائها الخاصه سريعا وتخطت بوابه

العمل متجه الى الجهه الاخرى منه... نهر النيل ياله من نهر جميل به حياه اشجار جميله وهذه المركبات التى تجول به صاخبه احيانا وهادئه احيانا ..سماء صافيه وهواء عليل تغمض عينها كانها تتنفس لاول مره فى حياتها . تفيق على صوت ضجيج صوت ضحكات وموسيقى عاليه وشباب فرحين برحلتهم التى سوف تبداء بعد قليل متحابين .. لماذا لا تتسلل مع هذا الجمع الجميل وهذا المرح لتعيش يوم من عمرها بعيدا عن العادات والتقاليد والروتين القاتل. بدا تحرك الجموع للصعود الى الحافله النهريه الجميله المرحه هناك متشابكى الايادى حبا وهناك متشابكى الايادى صحبه.. وانتى ايتها الحالمه المنفرده بذاتك وبخيالك الم يحن لك ان تجدى من تتشابك معه يداك بعد هذا العمر الطويل الذى مر بفرحه المولود وتربيته والسهر عليه حتى بلغ من العمر ما يجعله يحمل اعباء نفسه. الم يحن الوقت لكى تشعرى بمشاعر الشباب التى لم تجديها بحياتك منذ تزوجتى الزواج التقليدى الناتج عنه هذا المولود الجميل .. تعالت اصوات الشباب بالغنا ء والمرح وهى تنظر لهم بنظره فرحه متمنيه ان تمتزج بفرحتهم للمشاركه دون ان تشعر بان هناك من يراقب نظراتها ولفتاتها وضحكتها البريئه وجلست بجوار نافذه قريبه من رؤيتها لمياه نهر النيل وكم كانت فرحتها حين بدأت الحافله بالسير وتتطايرت زرات من المياه لتلامس وجهها فضحطت وضحك معها ونظرت للضاحك وجدته رجل متوسط العمر بعض الشعيرات البيضاء تتوسط رأسه بوقار جميل باسم الوجه فارع الطول يشويه الهيبه والوقار ينبىء بشخصيه ملتزمه .. خجلت من نظرته لها ومن ضحكتها العفويه كالاطفال .. اقترب منها بحذر يشوبه بعض الجراءه ومد يده لها بمنديل لتجفف مافعلته المياه..ولم تدرى

لماذا مدت له يدها لتاخذه منه وهى مبتسمه له بعفويه غير معتاده وهى التى ترسم كل خطوه تخطوها..مما شجعه للجلوس بجوارها وبدأ بينهم حديث وتجاذب للأفكار والمواضيع المختلفه .. تنظر له من حين الى اخر لتتفحص عينيه من خلف نظارته الطبيه ووتشاهد بهما مراره رغم ضحكاته وما كان يحاول ان يتناساه معها ولكنها رأت مابهما دون ان تحادثه مكتفيه بانها تشعر بالسعاده بحديثه رغم عدم المعرفه السابقه والصدفه الغريبه التى جمعت بهما فى هذا الوقت وهذا المكان. تناست مع حديثه الصخب والضوضاء ورغم انه حديث عادى بين اثنين من الاغراب الا انها وجدت شىء يجذبها نحوه ولا تعلم ماهو غير انها تريد ان تعيش فقط اللحظه دون ان تحسب حساب اى شىء معه.. يالها من صدفه خير من الف ميعاد !!! لم يسألها عن اسمها وحى لم تفعل!!! وماذا يهم الاسم طالما هناك فراق؟؟؟ وصلت الحافله الجانب الاخر وبدأ الشباب فى النزول ..ولم تحرك ساكن من مكانها وهو كذلك وتبادلوا النظرات وفهموا كل منهم مايدور بعقل الاخر وضحكوا معا . هى لن تغادر وهو كذلك اذا فلنعود معا الى حيث كنا .. وبدأت رحله العوده ونفس الحديث والتجاذب وتبادل

النظرات وعين حاله تريد منها الا تفارق. على الجانبين ابنيه قديمه جميله يقوم بالشرح لها عن تاريخ كل منها وما ألت اليه بعد الزمن الجميل وكيف انه كان من ابناء هؤلاء القوم الذين غادروا الحياه وذهبت معهم رقى وجمال الماضى وكيف كافح الحياه وما وصل اليه من حال بعد ضياع الكثير من الاموال واستعاده الحياه الطبيعيه بعد هذا الكفاح..وبدورها اطلعته عن جزء من حياتها كان يؤلمها ولم تستطع البوح لاحد الا له ... وياله من

عجيب ان تبوح لهذا الغريب !! وكيف وهى المتحفظه بالكلمه والخطوه !!! تلامست ايديهما دون قصد .. شعرت بقشعريره تسير فى جسدها .. غريب امرك جدا!! انه مجرد عابر وعند الوصول سيأخذ كل منهم طريقه .. ويدور بداخلها انا مجرد حديث طريق فلا تلتفتى له كثيرا . قارب الجانب الاخر فى الاقتراب معلنا قرب الوصول ... تتسارع دقات قلبها وتستقر نظرات عينيه عليها لا يريد ان يلتفت الى اى جهه..ماذا بك ايها المقتحم لاعماقى ؟؟ ماذا تريد؟؟ سنغادر وتفارق وافارق ولن نلتقى . نظرات عينه مازالت تتمسك بعينيها متمنيه ان تعطيه الامان والسكن ..تشيح بوجهها عن نظراته فهى لاتريد ألم فراق وقد بلغت مبلغها من الالم كثيرا وكفى . تصل الحافله يمد يده ليساعدها فى الصعود.. ايساعدها للوصول الى بر الامان ام يساعدها فى الوصول الى اول ابواب قلبه بصدق نوايا لم تعدها من قبل مع انه غريب طريق ولم يكن رفيق طريق. تمد يدها بالسلام فيمد يداه الاثنين متشيثا بيدها الا تفارق .. تسحب يدها بلطف مبتعده ببطىء ينظر لها دامع العينين تهرب بسرعه بعينها عنه كى لا تضعف امام هاتين العينين الصادقتين دون كلام فقط حنين صارخ بهما ... تبتعد دون الالتفات له وتخطو سريعا نحو الجهه الاخرى من الطريق دامعه العينين دون ان تلتفت للسياره المسرعه نحوها..وهاهى عينيه تقترب منها وترجوها بان تتماسك لاجله فهناك حياه اخرى تنتظرهم معا. افاقت من حلمها لتجد امامها اقلامها واوراقها وحاسوبها وهناك الكثير من الزميلات الضاحكات والصخب العادى بالعمل اليومى فنظرت الى حالها المعتاد وقالت ياله من حلم جميل جرىء عشته من عمرى .

شفاه بطعم البرتقال

محمد أمين الكرديني – مصر

تحاملت على نفسها لتقوم عن فراشها، بحثت بعينيها عن عكازيها فوجدتهما ليس ببعيد تأبطتهما متجهة ناحية غرفة مكتبها فتحت الباب بعد غياب شهور أخذت نفسا عميقا وكأنها تستعيد روحها الضائعة منها دلفت إلى الداخل أخذت تلمس سطح مكتبها، أقلامها، رزم أوراقها البيضاء، صورتها وهي تتسلم شهادة تقدير، صورتها وزوجها الذي ساندها كثيرا في مشوارها حتى أصبحت الروائية الشهيرة إيمان حسّان، أغلفة كتبها وبعض الجوائز تزدان بها رفوف مكتبتها الراقية، كمشت خصلات شعرها الناعم لترسله في دلال إلى الوراء جلست على كرسيها الوثير وقد أسندت عكازيها إلى المكتبة ونقرت بأصابعها على المكتب وسرحت بعنان خيالها إلى بدايتها الأولى

كانت يافعة رائعة الحسن بيضاء لا شية فيها صوتها كأنه نغم مسترسل يذهب إلى قلبك قبل أذنك قادم من حورية تغني أو جنية الغابة وهي علمت مواهبها التي وهبها القدر وقدرتها فأحسنت التقدير وتساءلت هل الجمال كل شيء؟ أم هناك شيء آخر وقالت لنفسها أن الجمال يذبل مع العمر يلزمه القوة أو السلطة أو الاثنان معا لذلك رأت أن المجال الإعلامي خير بداية لطريق قصير نحو ما ترجوه حاولت فور تخرجها في كلية الإعلام البحث عن عمل في المحطات الفضائية أو الإعلانات ولكنهم صدموها بأنها لا تنفع وينقصها الكثير وبعضهم أفترش لها الأرض حريرا وذهبا لكي يظفر بجمالها

ولكنها لم تثق فيهم وعليها فقد ارتضت بالعمل في مجال الصحافة وصارت محررة في صفحة أدبية وهي بعيدة عن هذا المجال ولا تحبه أقنعت نفسها أن الفرصة قادمة لا محالة

أعجبها شهرة أصحاب القلم المرموق وما يحظون به من علاقات ومريدين وأحاديثهم الصحفية والتلفازية ولمعت عينها ببريق انتصار عندما جاء إليها شاب رث الثياب يحمل أوراقا ويبدو عليه الإحباط طالبا منها السماح بنشر روايته في الجريدة كحلقات أسبوعية لأنه لم يجد أحدا يتحمس له ولا لقلمه راقها الشاب كان فتيا وسيما بعض الشيء أعملت فيه سحر الأنثى ووعدته بقراءة عمله فقدر لها ذلك تركها ورقم هاتفه متهللا كانت روايته بعنوان الخاطئة قرأتها بعناية في ثلاث ساعات متصلة اتصلت به وأخبرته بدلال أنها ترغب في مقابلته خارج العمل

تأنقت وتعطرت وارتدت أجمل ثيابها وأقبلت عليه فأحست منه ارتباكا ولكنها زادات بأن وضعت كفيه في كفيها

وصبت عينيها في عينيه مباشرة فتلعثم الشاب وزاغت عينيه من فرط سحرها باغتته لا أحسبك متزوجا أجابها بالنفي ابتسمت أكثر وهي تخبره أنها مذ رأته لم تذق نوما أجابها أن لقاؤهما الأول كان بالأمس فقط فقالت في حسم ألا أعجبك فقال متسرعا أنا لا أستطيع أن أحلم بك فأنت كثير على مثلي ابتسمت وزمت شفتيها في دلال

جاءت الأيام التالية بأسرع مما توقع هو لنفسه تمت خطبتهما في مجال عائلي ضيق بناء على رغبتها هي

وسارت الأمور كما تريد هي الزواج في طريقه لتتمته وكلما سأل عن روايته تقول له أن هناك لجنة تقرأها لتحدد مستواها من النشر في الجريدة وتوالت الأيام واقترب تحديد موعد الزفاف وهنا صارحته إيمان بما في نفسها إنها ترغب أن يعطيها روايته لتنسبها لنفسها وتخرجها إلى النور باسمها ولما رأت منه ترددا صارحته أنها أقنعت نفسها بقبوله وهو فقير لأنها تحبه وتريده واستغنت به عن رجال أغنياء يحققون مطالبها واصطنعت أنها غاضبة وتركته ولسانه خارج فمه ولم ترد على مكالماته المتتالية التي تعبر عن شغفه وضعفه واستسلامه لرغبتها ورغباتها ولكنها ضاعفت من إهماله إلى أن جن جنونه وذهب إليها في عملها معلنا تقبله كل شيء لترضى

سرعان ما أصبحت الروائية الشابة الفاتنة إيمان حسان حديث الندوات والبرامج الثقافية والتلفاز وصار لها مصورها الخاص وموظفين لكل ما تحتاج ساعدها في ذلك تعاونها مع نزار حامد صاحب دار نشر التميز الذي اشتهر في الوسط بكاتباته الجميلات كما اشتهر بنزواته مع بعضهن حسب درجة جمالها وقبولها لما يريد ولم تنس أن تعوض زوجها أيمن عن اغتصاب رواياته بسيارة جديدة وعضوية في أحد الأندية الكبرى ومصروف جيب ينفق منه دون حساب وكلما أفاق وشعر بالحنين لمجده هو تخرسه بأنها تتركه يغتصبها في جسدها مقابل أن تغتصبه في كتاباته وفكره فيذعن مقهورا مجبرا

ومضت الأيام على وتيرة واحدة إلى أن جاء يوم همس فيه أحدهم في أذنيه أن زوجته تخونه مع نزار وأنهما يلتقيان كثيرا في شقته أو مكتبه وان الكل يعلم هذا فنهشت الكلمات رجولته وكرامته وعقد العزم على رصد ما

تفعله زوجته في غيابه وجاء اليوم الذي علم فيه أن زوجته قد تغيب سويعات طويلة لتتابع إخراج كتابها الجديد الذي قدمه لها وراقبها عن كثب فوجدها بالفعل بين جريدتها والمطبعة ولقاء مع صديقة لها ثم ذهبت إلى مكتب نزار وتأكد من خفير العقار أن الرجل بمفرده فجلس في سيارته ينتظر ومرت ساعتان ونزلت أخيرا وأول ما لاحظه أن أعادت وضع زينتها لتوها وبلغ الشك منه مبلغه فقاد سيارته في اتجاهها وقبل أن تصل سيارتها وهي لا تراه صدمها بقوة صدرت عنها صرخة مكتومة قبل أن يلوذ بالفرار تجمع الناس حولها بينما كانت ترقد فاقدة الوعي تماما

تحسر الكثيرون ممن حول سريرها في المستشفى وهم يرون هذا الجمال وقد ذبل فجأة احدهم ضرب كفا بكف من يقول أن هذه الفتنة لن تستطيع أن تسير على قدميها مرة أخرى حتى مرفقيها وضعوا لها بعض الشرائح والبسوها رقبة وظهر على وجهها خدوش وكدمات أثر الحادث

الجميع يتساءل ماذا حدث ومن فعل ذلك ولكن لا إجابات شافية ولكن أحداهن وكانت صحفية شابة انفردت جانبا بخادمتها وعلمت منها أن إيمان كانت على علاقة بجني يعشقها وأنه كان يملي عليها ما تكتب ويساعدها دون أن يظهر ويفتح لها الأبواب المغلقة ومقابل ذلك كان يضاجعها ولكنها لم تعد تحتمل الألم كما كانت وحاولت إنهاء كل ذلك فما كان منه إلا أن لطمها على ظهرها فأصابها الشلل وأخذ يركلها وهي فاقدة الوعي حتى أحدث بها سحجات وخدوش ليشوهها وأخذها إلى مكان بعيد حتى وجدها أولاد الحلال فأحضروها إلى هنا

فغرت الصحفية الشابة فاها من الدهشة وأخرجت قلما تدون به ما سمعت حتى جاءت زميلة لها في جريدة أخرى أخبرتها أنها علمت ما جرى للكاتبة وجاءت لتلتقط لها صورا ليكتمل الخبر وعلمت منها أن زوجة نزار حامد ضبطتهم في مسكنها وبينما تحاول إيمان الهروب دفعتها الزوجة الغاضبة من الشرفة لتسقط من الدور الثاني فاقدة الوعي ولما خافت هي وزوجها افتضاح الأمر أخذوها كما هي في سيارته ورموها أمام المستشفى ولاذوا بالفرار

اعتمادا على أنها لن تفضح نفسها وتذكرهم في حال وجود تحقيق جنائي

رغم أن إيمان كانت فاقدة الوعي إلا أنها كانت تسمع كل ما حولها بدقة وصفاء دون تشويش حتى تنهداتهم وبذاءتهم كل شيء

تذكرت إيمان كل هذا بعد شهور من حدوثه بعد أن تخلى عنها الجميع طلقها زوجها تاركا كل شيء وقاطعها أبويها بعد أن لاكت سمعتها الأفواه وابتعد عنها قاصدي الجمال وبقي معها خادمتها فقط وبضعة ذكريات مؤلمة

وبعينين دامعتين لونت شفاهها باللون البرتقالي الذي تفضله دوما وجلست في الشرفة تحتسي قهوتها المعتادة وابتسمت مع أغاني فيروز التي تعشق سماعها

obeikandl.com

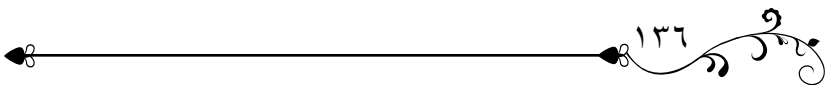

obeikandl.com

القـــدر

مــنى محمد محمود - مصــر .

بداية أعرفكم بقصّتي، اسمي: سهير علي إبراهيم السيد، فتاة من فتيات الصعيد المصري، تخرجت من معهد الخدمة الاجتماعية. تضم أسرتي سبعة إخوة وأخوات أشقاء من أب و أم ولنا أيضا ثلاثة من الإخوة الصبيان من أبى لزوجته الثانية. ترتيبي الخامسة بين الإخوة و الأخوات، على قدر معقول من الجمال، توفيت أمى وأنا بالصف الثانى الثانوى. ثم تزوج أبى بامرأة أخرى ليكمل حياته معها ثم تزوجت أخواتي الأكبر، وبقيت أنا وأبى وزوجته بالمنزل. عانيت مع زوجة أبي ويلات وويلات، لا تكفي الصفحات لسرد وقائعها، ومرت الايام والسنين بطيئة قبل أن أنتهي من دراستي بالمعهد، وفى أثناء ذلك اكتفى أخواي الأصغر مني بالتعليم المتوسط وانتبها للتجارة والسّفر خارج القرية والحمد لله تحقق لهما الاستقرار في القاهرة . ،

أما بالنسبه لي فحياتى مختلفة إختلافاً كبيراً عن أخواتي فبعدما أنهيت دراستي بمعهد الخدمة الاجتماعية جلست بالبيت كحال الكثير من فتيات الصعيد فى انتظار العريس المنتظر، والحياة السعيدة مع شريك الحياة ، وتمر الايام وانا بين قبضة زوجة أبي وأحلامي الممزقة، عشت أوقاتاً صعبة للغاية، لتمر الأيام بطيئة كالمعتاد، لتثمر عن زواج أخواي الأصغر مني ليستقرا بالقاهرة، وفي زيارة لي لأحد الإخوة بالقاهرة فوجئت بزوجة أخي تتحدث إلى عن وجود "عريس" يرغب في الزواج بي، ولكنه أرمل وأكبر مني بعشرين سنة على الأقل.

لم أعر الأمر انتباهاً، وعدت إلى الصعيد تارة أخرى و تمكنت من الحصول على عمل فى الصيدليه القريبه من بيت أبى وتمر الأيام ويتقدم ليا ابن عمى لخطبتى، وافق أبى وكل أفراد العائلة، وكانت سعادتي لا توصف وتمت الخطوبه لتستمر لمدة عام ونصف، على إثرها قرّر عمى تحديد موعد الزفاف، وعند الإتفاق على بقية التفاصيل حدث ما لم يكن فى الحسبان، حضر عمي لمنزلنا في مساء أحد الأيام ليقرر: .

" مش لازم نكتب قايمة عفش ولا مؤخر ولا أى حاجة " فمن وجهة نظر عمي أنى ابنته وكل تلك الأمور غير هامة. .

واكتفى عمي بإعلانه أنه سيقوم بشراء شبكة فقط والباقي مش ضروري.

أعلن أبى رفضه القاطع وهو يجيب : .

" ازاى يا اخويا الكلام دا الكلام دا ما يصحش ابدا دى بنتي ويتيمة الأم أمها لو كانت لسه عايشه لحد النهارده مستحيل انها توافق ابداً ولا أنا كمان .

عمى : " البت بتنا والولد ولدنا " .

أبى : " لا مش موافق يا اخويا اتفضل شوف البنت المناسبة لابنك، أنا ماعنديش بنات أرميها سهير متعلمة حرام عليا لما أظلمها الظلم ده الجواز قسمه ونصيب واحنا اخوات. .

خرج عمي من البيت غاضباً وهو يتوعد بأن سيزوج ابنه من فتاة افضل وأجمل منى وصوته يصل مسامعي وهو يخاطب أبي في خروجه: " بنتك دى عدت ال٣٠ سنه، والواد ما كانش راضي بيها أصلا وانا اللى ضغطت عليه".

obeikandl.com

يعود والدي إلى الداخل بعد أن أغلق الباب وهو يقول: .

- متزعليش نفسك يا بنتي الجواز قسمة ونصيب . .

تمر الأيام والشهور وانا مابين عملي ونظرات الناس والاسئله الفظيعه عن سبب انهاء تلك الخطوبة، وتمر الأيام على هذا المنوال ويتقدم لي العريس تلو الآخر، وفي كل مرة وعند خطوة إتمام الزواج يحدث شئ غير مفهوم يؤدي لإفشال تلك الخطوبة ولأتفه الأسباب لأربعة مرات وبنفس الطريقة .

إلى أن اهتمت أختى الكبرى بالموضوع لتعرف السبب الكامن وراء هذا النحس المقيم كما تدعوه، فتخبر زوجها وأخيه المدعو محمود بما حاق بي من آلام نفسية، محمود شاب أرمل عمره ثمانية وثلاثون عاماً، توفيت زوجته فى حادث سير ولم تكن قد أنجبت أطفال بعد، يعمل مدرساً للغة العربية في احدى المدارس بمنطقة الشيخ زايد، وكذلك معالج بالقران الكريم للعين والحسد والمس والسحر، قالت أختى لمحمود متسائلة: "ممكن يكون إيه السر فى هذا الذى يحدث ؟ " .

أخبرها محمود بأنه يرغب في لقائي لمحاولة التعرف عن قرب على تلك المشكلة التي قلبت حياتي رأساً على عقب. .

إتصلت بى أحلام: " تعالى ضروري دلوقت يا سهير بعد ما تخلص الوردية بتاعتك، عدي علي متتأخريش، مع السلامه. .

توجهت لمنزل أختي أحلام لأفاجأ بوجود زوجها بصحبة محمود، الذي كنت أعرفه من قبل، بعد الترحيب بي ابتدرني محمود بكلماته مباشرة دون مواربة:

- " ممكن تقومى تتوضي، علشان هقرا عليكى آيات من القران الكريم لعلاج ما قد يكون بك من مس أو سحر أو حسد " .

وافقت بدون تردد، كانت معاناتي فوق الوصف وأرغب في التخلص منها والعثور على حل لتلك الأزمة التي تعصف بي. لم تكد الدقائق تمر حتى كنت أجلس أمامه ليبدأ محمود بقراءة آيات من القرآن الكريم، وبعد حوالي ربع الساعة من قراءة آيات القرآن الكريم ظهرت علي علامات تفيد بوجود سحر تم عن طريق الشراب، بدا ذلك واضحاً من خلال العرق المتصبب على جبهتي وغرقاً وجهي بأكمله، وتلك الانقباضات التي أصابت معدتي لأبادر بإفراغ جوفي برائحة كريهة، وفى نهاية الجلسة أصيب الجميع بالذهول التام مما حدث لي من تغيرات، وقررت أحلام فوراً العوده لأبى واخباره بما جد في الموضوع من أوله إلى آخره، عرف ابى بكل ما حدث، وقرر أن نكمل ذلك الطريق إلى نهايته، ومن جلسة إلى جلسة وأنا أعاني من تعب وإعياء شديد، واستمر هذا الوضع لمدة اسبوعين كاملين، الى ان انتهى الأمر، رجعت بعدها لعملي فى الصيدلية وبعد مرور شهور معدودة تقدم محمود لوالدي لطلب الزواج مني، وافق ابى ووافقت أنا بالطبع لأنى كنت قد تعلقت بمحمود ووصل بي التعلق به حد العشق، تمت الخطوبه ولمده أربعة أشهر فقط وفى إجازه نصف العام تم الزفاف، وانتقلت مع محمود للعيش معه فى مدينة الشيخ زايد وأنا الآن في حملي الأول، في انتظار قدوم التوأم كما أخبرني الطبيب منذ أسابيع، إبنى وابنتى " أمل" و " أدهم ".

البطل المحارب عبد الله الصدَّة

د / محمد صقر - مصر

(ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة) .. حكمة تمسك بها رجال الحرب .. جعلوها نصب أعينهم .. منهم من مات شهيدا، ومنهم من عاش بطلا!

دعاني إلى حفل زواجه زميل دراستي وصديقي (المتولي) الذي يسكن في (بورسعيد) قريبا من (قناة السويس) .. ركبت السيارة التي سُرعان ما أَكْمَلَ السائق عدد ركابها ..

في الطريق إلى (بورسعيد) .. أشتاق مرةً أخرى لرؤية (قناة السويس) التي لم أَرَها منذ أن كنت ذاهبًا إلى (سيناء) أثناء مدة خدمتي في (القوات المسلحة) ..

لن تكون هذه المرة ماتعةً كما كانت الأولى .. ففي أول مرة بعدما مررنا بالقناة راكبين الأوتوبيس مُحَمَّلًا على المعديات التي في القناة؛ مر بنا (الأوتوبيس) في الطريق الساحلي بشمال سيناء .. وطفقت أنظر إلى كل رمالها الجميلة التي تحمل آثار تاريخ سُطِّر بدماء الأبطال المحاربين ..

ما قرأتُ وشاهدتُ وسمعتُ عن حربِنا (اليهود) في (سيناء)- كانت ذاكرتي تتجاذبه .. مواقعُ حربية في الصحراء .. مدرَّعة تمشِّط الطريق تقابلنا (القناة) التي مَرَّ عبرها (الأوتوبيس) عَبَرَ منها أبطال الحرب وأطفؤوا زَهْوَةَ الغَلَبَةِ الفاترة التي كان يتغنَّى بها اليهود .. شهدتْ تلك القناة ملاحمَ وبطولات، وحَوَتْ دماء أبطالٍ وأشلاء شهداء .. لن أَمُرَّ هذه المرة بسيناء ولن

أعبر القناة؛ فصديقي يسكن في الناحية الغربية من القناة قبل (القنطرة) .. ولكن شَنَّفَ مسامعي (البطل المحارب عبد الله الصدَّة) بنفسه بقصته البطولية التي كانت أفضل عوض عما ألمَّ بي من حزن بسبب أني لن أمر بالقناة وسيناء هذه المرة ..

غفل السائق عن مطب في الطريق؛ فَتَرَنَّحَتْ السيارة وشَعُرْتُ بانزياحٍ يسيرٍ في مقعدي .. مطبّ آخر أَقْلَقَني مرةً ثانية .. قلتُ بصوت لا يسمعه إلا من بجواري: "ما لهذا الطريق غير مستوٍ".. رد من بجواري: "ليس للذهاب إلى (القنطرة) غير هذا الطريق، هل أول مرة تذهب إليها؟".

فقلت: "نعم"..

فسألني عن سبب الذهاب؛ فأخبرتُه..

رجلٌ كبيرٌ سِنُّه .. يتجاوز السبعين .. علامات الاعتزاز بالذات والذكاء تَتَدَّفَقُ من الفَخْرِ المُعْلَنِ عنه من جِلسته الشامخة .. يرتدي نظارةً سوداء.. يظهرُ في وجهه وشِدْقِه أَثَرُ جروحٍ قديمةٍ جدًّا .. شرع في الحديث معي بصوتٍ منخفض .. قلت له: "لم أسافر من هذا الطريق قبلًا .. استوضح مني: "ليس للقنطرة إلا هذا الطريق". قلت: "أعني لم أسافر إليها أصلًا".

ودفعًا عني أني لم أذهب إلى تلك المناطق الشمالية الشرقية من مصر قلت له :"أنا سافرت إلى سيناء قبلا لكن هذا الطريق لم أطرقه"..

فسألني: "لماذا سافرت إلى (سيناء)؟".

رددت: "عندما كنت في (القوات المسلحة)".. نطقتها بقوّة واعتزاز عسكريٍ مما لا يزال لديَّ إِثْرَ خدمتي العسكرية؛ فهزّ رأسه هِزَّةَ قوة أعرفُها ممن عشت معهم في الجيش من المُخلِصين منهم تعني القوّة والانتماء

والاطمئنان لمن يحدِّثُهم فقد شعر بما ذكره بقديمه وتاريخه العسكري .. شرع يحكي بعدها عن بطولته في حرب ٧٣ .. لم يقل مباشرة أنه كان محاربا.. كانت السيارة قد اقتربت من محاذاة قناة السويس .. وفي الضفة الشرقية نرى أرض سيناء ..

قال: "هذه الأرض فيها دماؤنا .. ذكريات محفورة في قلبي لا أنساها..".

خَمَّنْتُ أنه كان محاربا .. سألتُه عن سلاحه؛ فعرفني أنه كان في السلاح الجوي.. وقال: "كانت مهمتي وزملائي الإبرار الجوي".

-"وما الإبرار الجوي؟".

-"يعني نطلع على العدو من الجو .. ننزل عندهم نقتلهم ونرجع من غير ما يحس بنا أحد"..

-"وحضرتك كنت جنديًّا؟".

-"كنت ضابط احتياط .. وأكملتُ في الجيش .. دخلت سنة ٦٥ و خرجت ٧٥ .. كانوا -يقصد العدو- يكونون واقفين قصادنا .. من رُعبهم لم يكن يجرؤ على نزول القناة أحد منهم .. من كان ينزل كنا نُعيده إليهم جثة .. غاية ما كانوا يفعلونه يستحمُّون وهم على الشاطئ واقفين .. وكانت نساؤهم يأتين إلى الضفة ويخلعْن ملا بسَهن كلَّها إغراء .. وكنا لا نأبه ولا نضع في ذهننا أفعالهن .. كانت الحَمِيَّةُ لتخليص الأرض فقط .. عقيدة إبرار.. تطهير للأرض من هذا الرجس .. كانوا يقفون حراسًا ..

-"وكيف كنتم تعبرون وهم وقوف وفي حراسة .. طالما أنهم كانوا يرصدون حركاتكم ولا تقدرون على المرور إلى الجانب الشرقي؟".

-"كنا نبحث عن ثَنية ليس فيها أحد .. ثم نزل تحت المياه .. على الأنف والفم نضع مُتَنَفّسًا في نهايته خُرطوم .. هذا الخرطوم ينتهي إلى أعلى سطح الماء ليسمح لنا بالتنفس .. ونصل إلى الناحية الأخرى نقتل من نشاء ثم نرجع وعندما يبدؤون في البحث عنا نكون رجعنا"..

قال لي :"كنا نُذِلهم إذلالا .. نُعجزهم .. كانوا يخافون من كفاءة المقاتل المصري أيما خوف .. اصطدنا (طائرة فانتوم) بطائرة (هلكوبتر) وهذا أشد الإذلال لأن (الفانتوم) لا يوقعها إلا (صاروخ) غالبا .. اصطادها المقاتل بسلاحه .. اعتلى (الفانتوم) بالهلكوبتر الناقلة للمقاتلين ولَدَعَ –قالها بهذا اللفظ- سائقها فَقَلَبَه .. ثم أخذ الآخر.. لماذا فعلنا ذلك؟ لنقول لهم : "أقل شيء (هلكوبتر ركاب) نقضي به على أحدث ما عندكم (الفانتوم) –وكان حينئذ (الفانتوم) أحدث المقاتلات الجوية..

كنا لا نبالي .. نقتلهم أو نظلّ على الجبهة .. لا خيار بعد هذين .. حلفنا يمين الإبرار أن ندافع عن أرضنا بدمائنا غير مبالين بعدوِّنا وعاهدنا الله ألا نتراجع؛ إما نصر وإما شهادة .. قتال حتى آخر قطرة دم؛ حتى آخر نفس نتنفسه .. إنها عقيدة..

قال وأشار على وجهه موضحًا لي سبب هذه الآثار لتلك الجروح القديمة: "هذا جرح، وهذه شظية .. وفتح قميصَه وأشار في صدره -فرأيت التآمًا لجرح في ناحية القلب- وقال: "وهذه طلقةٌ دخلتْ من هنا وخرجت من الخلف .. مَرَّتْ بجدار القلب".

صدمتني وحزت في نفسي إصابته الموجعة؛ فكيف تحمّلها وقد تألمت بمجرد حديثه عنها!؟

استفسرت منه: "أكان ذلك في الحرب سنة ٧٣؟ وكيف حدثت الإصابة؟".

-"كنا في طلعة (إبرار جوي) سنة ٧٥.. أُصبت بطلقة من طائرةٍ .. تَدَرَّبْنا أن نلفّ على الرمال بشكل متوالٍ عند الإصابة لكي لا ترانا (الرادارت الإسرائيلية) .. فإنها لا تميّزُ من يلف في الرمال .. ظللتُ ألفّ حتى وصلت إلى شاطئ القناة .. ونزلت في المياه وتغير لون الماء حولي بسبب كثرة الدم النزيف .. عندما رآني اليهود لم يطلقوا رصاصًا .. لعلهم قالوا: "جثة في مياه .. خسارة فيها رصاصة .. نتركه يرجع إليهم" .. لمَّا نزلت في المياه .. بفضل (الله) سَدَّتْ المياه منافذ الدم" .. ولم يشعر بشيءٍ عندما سقوطه في المياه إلا ما حكاه له أصدقاؤه بعد ذلك .. انتظروه في الجانب الآخر .. بمجرد أن وصل إلى الضفة الغربية حملوه في الطائرة .. وخلال (ثلاث دقائق) كان على سطح المستشفى الميداني .. بعد أن تلقى العلاج، والإفاقة، وإتمام الشفاء .. طلب (الرئيس السادات) أن يكرّمه وطلب أن يأتي أهله معه، فقدم أبوه –وكان عمدة القرية- وقدمت أمه، وفي حضور الإعلام جرائد وقنوات يتم تكريمه هو وزميله الذي أصيب في رجله وكان جالسًا على كرسي فَهَمَّ بالقيام للرئيس؛ فَرَبَّتَ الرئيس على كتفه وأجلسه قائلا: "أنا أنحني لك.. أنت بطل"!

يقول : "وسلمت أنا قائمًا على (الرئيس) فقال لي: أنتم أبطال .. أنتم أبنائي" ..

وَرَدَّ أبوه العمدة :"إنهم أبناؤك يا ريّس .. إنهم أبطال مصر" ..

ومنحهما (وسام نجمة سيناء) .. ورفض (العمدة) أخذ مال .. ولم يُلح (الرئيس السادات) عليه؛ لأنه يعلم أنه غني فهو عمدة .. وألحّ على المحارب

الآخر وكان طبيبًا فأخذ المال .. يقول (البطل المحارب عبد الله الصدة): "لم يَبْقَ إلا أنا وزميلي من أبطال هذه الطلعة .. كنا ٨٤" ..

فزعت من استشهاد ٨٢ فهو عدد كبير، ولم أَدْرِ ما الذي حققوه من حصد رؤوس العدو؛ فسألتُه: "استشهد هذا العدد الكبير!؟" ..

فبادرني بما في نفسي: "ونحن قتلنا كم؟".

قلت له :"كم؟".

فقال: (١٦٠٠) إسرائيلي!

سريعًا مرَّ الطريق .. قرية صديقي في منتصف المسافة .. فأعلمني السائق بقرب المكان الذي طلبت أن ينزلني عنده واستأذنت من (البطل عبد الله الصدّة) أن آخذ رقم هاتفه فشرفت بتسجيله في هاتفي .. أخبرته بأني سعدت جدًّا بالحديث معه وأن يسمح لي أن أتواصل معه فهز رأسه بالموافقة .. قلت له: "الصدفة تلك لن أنساها أبدًا".. هَدَّأَ السائق ثم توقَّفت السيارة .. استأذنت منه ورجوتُ السلامة له .. نزلت من السيارة ووقفتُ انتباهًا تحيةً عسكريةً للبطل حتى تحركت السيارة!

بائع السعادة

د / سمر ابراهيم - مصـر

إذا جعلت من حولك سعداء فستتضاعف سعادتك، ولكن إذا وزعت الأسى عليهم فسيزداد حزنك .إن الناس في الغالب ينسون ما تقول، وفي الغالب ينسون ما تفعل، ولكنهم لن ينسوا أبداً الشعور الذي أصابهم من قِبلك .. ..فهل ستجعلهم يشعرون بالسعادة أم غير ذلك!!.

البداية..

بيت صغير مبنى من الطوب اللبن ، يعيش فيه عجوزان رفيقان للحياة كل منهما مريض بمرض مختلف عن الأخر. ولكن كل منهما لا يعرف مرض الأخر. فواحد منهم كان يستطيع السير والوقوف على فترات في اليوم، والأخر لا يستطيع النهوض حتى لقضاء حاجته ، ظلا هكذا سنوات ولا أحد يخدمهما سوى فتاه صغيرة لم تتجاوز العشرين من عمرها كانت تسكن بالجوار، وكانت تحبهما لخفة ظلهما. فكانا يهونان عليها وحدتها فهى بلا أب أو أم أوأهل ، وهما أيضا بلا أبناء. فكان كل منهما يرى غايته في الآخر. وعندما كان يحل المساء كانت تذهب الى منزلها بعد أن تكون لبت لهما كافة طلباتهم ، وكانا العجوزان يتسامران ليلا فكان الزوج يحكى لزوجته عما بدا له من جمال الفتيات، والنزوات التى مر بها في شبابه. ولكنه لم يرى أجمل منها حُسناً فكانت تفرح كالطفلة الصغيرة وتتغنج عليه في دلال ، وهو سعيد لسعادتها

وظل كل يوم يطيل في الأحاديث الشيقة التى تعيد لهما شبابهما ويحكى عن شقاوته مع الفتيات الشقراوات والسمراوات والخمراوات . وهى أيضاً تحكى كيف كانت لها مغامرات في الحارة مع الشباب وكيف كانوا يعاكسونها ويتراهنون على جمالها وكانت لاتعيرهم إهتماماً وكأنها كانت تنتظر فارسها. وعندما جاء هو ليتزوجها كفت عن هذا العبث لأنه هو من خطف قلبها منذ الوهلة الاولى .. ظلا هكذا كل يوم عندما يحل المساء يجلسان ليتسامرا .. الزوج العجوز يجلس على الأريكة يحكى والزوجة القعيدة مستلقية على ظهرها تستمع في شوق معهود لأحاديث زوجها . وكانا كل منهما يغمض عينيه ليسمع الآخر ويتخيل كم كانا كل منهما حلم للاخر وأمنياته في الحياة. كان الزوج العجوز يصف زوجته بأنها أجمل نساء العالم بشعرها الذهبى وبياضها الناصع وجمالها الفتاك الذى مازل يؤثره وأنها هى حب حياته الذى عوضه عن الولد والأبناء ،فهى له الإبنة والزوجة ورفيقة الدرب. فكانت الزوجة العجوز تغوص في بحر العسل متأثرة بهذا الكلام المعسول من زوجها ورفيق دربها ..وفى يوم من الأيام طلبت العجوز أن تتأبط ذراع زوجها وتسير معه على حافة البحيرة التى بجوار منزلهما فقال لها زوجها إغمضى عينيك وسترى كيف نحن نسير عليها ، حيث تغمرنا أمواجها ونحن نرى الناس تؤجر المراكب ويبحرون فيها والأولاد وهم يلعبون ويلهون في الماء ، هل ترين الجميع حولها الآن . هل ترين المحبين الذين يجلسون تحت ظلال الاشجار التى حول البحيرة ؟ ماأجملها زهور ومأجمله إبداع للخالق .. هل ترين هذه الوردة الحمراء التى تتمايل على غصنها ؟؟ إجلسى هنا سأذهب لأقطفها لكِ .. يالله

مأجمل رائحتها الذكية والوانها البديعة ، هل ترين طائر الرقراق الذى يقف على الغصن هناك ؟ ماأجمله ...

وفيما كان يصف الزوج لزوجته العجوز هذه المشاهد التى كانت تتوق لها روحها ، وهى مغمضة عينيها ومبتسمة في سعادة عارمة، وكأنها تتمشى حقا على حافة البحيرة وترى كل هذه الأشياء المبدعة حيث المراكب ، والمحبين، والأولاد ، والزهور، والطيور ...فقد فاضت روحها الى بارئها وهى متبسمة كما لو كانت ترى الجنة والملائكة يزفونها .. وجاءت الجارة الصغيرة لتلبى طلبات العجوز بعد وفاة زوجته فوجدته يمكث بجوار الشباك يبكى فسألته لماذا تبكى ياجدى فقال لها من سأقص عليه بعد الأن خيالاتى !! كنت أريد إسعاد زوجتى أكثر من هذا .فهى طيلة حياتها كان لديها شلل اطفال ، ولكنها كانت تضغط على نفسها حتى تخدمنى الى أن وصل بها الحال أن رقدت نهائيًاَ ولم تعد تستطيع حتى أن تقضى حاجتها، وأنا طيلة عمرى كفيف ولكنى كنت أستطيع قضاء حاجتى دون أن تعلم أنى كفيف حتى لاأثقل على كاهلها مرارة خدمتى. وكنت أحكى لها عن مغامراتى الخيالية مع الفتيات وكأننى أرى كل شيء حتى أثير فيها الغيرة علىّ وأشعر بحبها لى وأراه في عباراتها وهى لاتعلم أنى لم أبصرولم أرى جمالها رغم أنى كنت أوصفها وصفاً دقيقا كنت أتخيلها هكذا . فكنت أرى الوجد في عينيها وأسعد بصوتها المرتعش من الخجل .. كم كنت أتمنى أن يقضى نحبى معها ولم تتركنى وترحل وحدها ..

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذو جودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017

obeikandl.com